

الإمام
الدكتور عبد الحليم محمود



الإسراء والمعراج



دار المعارف

الإمام
الدكتور عبد الحليم محمود

الإِسْرَاءُ وَالْمَغْرَاجُ

الطبعة الحادية عشرة



دار المعارف

مكتبة
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف : ٥٧٧٧-٧٧ - فاكس : ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من أسرى به الله من
المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته الكبرى ، وعلى آله
وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

« ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك
أنت الوهاب » .

« ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهب لنا من أمرنا رشداً » .

مقدمة

في مسجد مولانا الحسين رضى الله عنه . في شهر رجب من سنة ١٣٨٧ هـ ، احتفلت جمهورية مصر العربية عن طريق التلفزيون - في برنامج نور على نور - بليلة الإسراء والمعراج ، مشاركة بذلك العالم الإسلامى كله ، ومعبرة بهذا الوضع عن الأهمية الكبرى التى لهذه الليلة المباركة .

وقد حضر الحفل كثير من كبار السادة المسئولين فى مختلف الوزارات وفى الأزهر . وقد دعانى المشرفون على البرنامج - مشكورين - للحديث مع من دعى فى تلك الليلة المباركة . وانتهزتها فرصة لأقول رأى بصراحة ، فى نقطة من هذا الموضوع ، حيث أتيح إعلانها فى أوسع دائرة ممكنة من المستمعين فى المسجد ، ومن المشاهدين على الشاشة .

لقد كان المعراج مناجاة ، ووحياً ، ورؤية :

أكانت المناجاة مع جبريل عليه السلام ، والوحى من جبريل عليه السلام ، والرؤية لجبريل عليه السلام ؟

أم كانت المناجاة مع الله سبحانه وتعالى ، والوحى من الله تعالى ، والرؤية لله تعالى ؟

لقد قلت في حديثي :

إن محمداً ﷺ ، وصل إلى أفق لم يعد فيه مكان لجبريل ، وارتقى إلى مستوى من النور لم يكن لجبريل عليه السلام فيه مجال ، فكان محمد ﷺ في الحضرة الإلهية ، دون واسطة .

فناجى محمد عليه الصلاة والسلام ، ربه عز وجل .

وأوحى إليه ربه ما أوحى .

ورأى محمد ربه .

(ما كذب الفؤاد ما رأى) .

واستندت إلى ما جاء في حديث البخاري :

ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ، فكان منه قلاب قوسين أو أدنى .

وقلت : إن محمداً ﷺ ، في هذا الأفق كان وحده وكان جبريل

عليه السلام في أفق أقل ، فكانت المناجاة مع الله .

وكان الوحي من الله .

وكانت الرؤية لله تعالى .

ولم يستغرق حديثي أكثر من ربع ساعة ، قلت فيها - في لمحات

خاطفة - كل ما كنت أريد أن أقول ، في الموضوع عامة وفي هذه النقطة

خاصة .

ثم نزلت من على المنصة ، وكأني قد تخففت من حمل ، وكأني قد

برئت من مسئولية .

وظننت أن الأمر قد انتهى ، وأنتى قد أسمعنت ، وأن الكلمة ستأخذ مجراها ، وأن الله سيفتح لها آذاناً ، ويشرح لها صدوراً .

* * *

وما إن انتقضى الحفل ، حتى التفّ حولى كثير من ذوى البصائر الرشيدة ، يرجون أن أكتب في الموضوع ، أفصل ما أجملت وأستفيض فيما كان أشبه بلمحات ، وأوضح هذا الذى وقع من أنفسهم موقع الاستحسان والغربة فى آن واحد ، من أن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، وصل إلى أفق كان فى الحضرة الإلهية وحده دون حجاب . وعددت هذا منهم مجاملة ، قابلتها بمثلاً ، وشكرت لهم حسن ظنهم .

ورجوت من الله التوفيق لى ولهم .

ولكن الحديث عن الموضوع استمر ، وكثر طلب الناس هنا وهناك للكتابة فى هذا الموضوع فى صورة أوسع وفى زواياه المتعددة . وحفزنى هذا إلى العودة إلى الموضوع من جديد .

لقد عدت إلى القرآن الكريم وتفسيره فى مختلف التفاسير ، وخصوصاً تفسير الإمام ابن كثير فى موضوع الإسراء والمعراج ، وكذلك تفسير الإمام الألوسى ، وحاشية الإمام الصاوى ، وإلى صحيح الإمام البخارى ، وشرح الإمام ابن حجر له ، فى مختلف الأمكنة التى تحدث فيها عن الإسراء والمعراج .

وإلى صحيح الإمام مسلم ، وشرح الإمام النووي له .
وإلى الخصائص الكبرى للإمام السيوطي .
وإلى الشفاء للمقاضي عياض .
وإلى كتب السيرة . وخصوصاً سيرة ابن هشام وتعليق السهيلي عليها .
ولقد نعمت بفترة من البحث أحمد الله عليها .

* * *

وما من شك في أنني لم اخترع رأياً ولم أبتدع فكرة ، ولم أجيء بما لم
يكن موجوداً ، وكل ما في الموضوع أنني حاولت في هذه النقطة - التي
كانت مشار سؤال وبحث - أن أبرز ما حاول البعض المروء عليه مروراً
عابراً ، وأن أظهر ما لم يكن البعض يقف عنده ، وأن أعلن عما كان
موجزاً لا يكاد يبين عنه بعض الكاتبيين .
لست إذن بدعاً في الرأي ، ولا مبتدعاً فيه .

* * *

على أن هذه النقطة التي كانت مشار بحث ليست أبرز شيء في هذا
الكتاب ، بل إنها لم تستغرق منه مكاناً كبيراً ، لقد أردت على الخصوص
أن أبين أن قصة الإسراء والمعراج إنما تمثل :

- ١ - منهج حياة في العقيدة .
- ٢ - منهج حياة في الأخلاق .
- إنها منهج الحياة الروحية في حياة المسلم .

وهذه النقطة بالذات هي التي استفضت فيها ، والتي أرجو أن أكون
قد صاحبني فيها التوفيق .

• • •

إن بعض المسلمين يحتفلون بهذا الحادث ، على أنه حدث تاريخي
مجيد ، ثم يرون به على أنه معجزة وقعت لسيدنا محمد ﷺ ، فأظهرت
ما له من فضل ، وبيّنت ما له من مكانة ، فإذا ما شرحوها من هذا
الجانب : فكأنهم قد أوفوا الموضوع حقه .
وقالوا فيه ما يمكن أن يقال .

ولكن أمر الإسراء والمعراج : أوسع وأعم من أن يكون حدثاً
تاريخياً ، انقضى وانتهى . وذلك أنه رسم لحياة المسلم ، وفيه من العظات
والعبر ما لا يكاد يحيط به الإنسان . وسنحاول بتوفيق الله أن نكتب عنه
في هذه الجوانب والزوايا .

والله نرجو أن تمتد لهذا الكتاب الأعين ، وتتفتح له الآذان ، وأن
يشرح الله له الصدور ، وأن يهدي له ، وأن يهدي به ، إنه سبحانه
قريب مجيب .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

الفصل الأول

بين يدي الإسراء والمِغْراج

سبدا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، معجزة التاريخ وهو
المثارة التي هتدى بها الإنسان كلم انبهمت الأمور ، أو صلت الآراء .
وحياته قبل السعة كحياته بعدها : عظة وعبرة ، وهداية ومثل أعلى
لمن أرد الطريق الأقوم .

إن من يتدبر حياته ﷺ قبل السعة ، ولا يكون عنده فكرة
صحيحة عن السوء من حيث إنها لا تكسب اكتساباً ، وإعما توهب من
الله تعالى يكاد يعتقد أنه اقتصر الوحي اقتصاصاً وصطره إلى لزول
اصطراراً وأنه نبي إلا أن يظهر بما يريد فكأن له ما أراد .

بيد أن الصواب هو أن الله اصطفاه ، وفصله بالنبوة والرسالة عن
العالمين ، عندما حان الموعد الذي حددته لعناية الإلهية ، لتتحلى بالهداية
عن طريق من اختارته رسولا .

يقول الإمام المراغي رحمه الله .:

« لنوة هبة لا تنال بالكسب ، لكن حكمة الله وعلمه قاصيان بأن
تمنع للمستعد لها : القادر على حمايتها »
(الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

ومحمد ، ﷺ ، أعد لأن يجعل الرسالة للعالم أجمعه : أحمره
وأسوده ، وإنسه وجنته .

وأعد لأن يحمل رسالة أكمل دين .

ولأن ينتهم به الأنبياء والمرسل ، وليكون شمس الهداية وحده إلى أن
تنفطر السماء ، وتنكدر السحوم ، وتبدل الأرض غير الأرض
والسموات (١)

أما هذا الإعداد فقد حاظه الله بعنايته التامة ، إنه أعده من ناحية
أسرته : أعنى من ناحية الوراثة ، وأعده من ناحية فطرته : أعنى طبيعته
الشخصية .

فما من ناحية أسرته ، فهذا جده عبد المطلب كان « سمح الطبع ،
رعى النفس ، سعى اليد ، حلو لعشرة ، عذب الحديث » .

وكان عبد المطلب أيضاً قوى الإيمان ، يملك قلبه ، وتسيطر على
نفسه نزعة دينية حادة عنيفة ، ولكنها عامضة ، يحسها ويخضع لها ،
ولكنه لا يمتثل لها ، ولا يستطيع لها فهماً ولا تفسيراً (٢) .

« كان فتي من فتيان قريش ، ولكنه يبتاز عن بقية فتيان قريش .
فيه دكاؤهم ووطنهم . وفيه إناؤهم وعزيتهم ، ولكن فيه دعة ، لم
تكن مألوفة عندهم . وفيه شدة من الدين ، قبلها كانوا يرضونها أو
ييسمون لها .

على أن حصلت أخرى ميرته منهم أشد التمييز ، فلم يكن يصدر في

(١) من مقدمة « حياة محمد » للدكتور هـ كـ

(٢) انظر كتاب « على هامش السيرة »

حياته كم كذب يصدرون عن الروية والتكبير ، وحول التدبير ،
وكم كانت تدفعه إلى العمل ، والاضطراب في الحياة قوة حمية ، يحسها
ويأبى عليها ، ويعبوا في لإباء ، ولكنه يضطر إلى أن يدعى لها ويصدع
بأمرها

وكانت هذه القوة تصدر إليه أمرها في شكل مختلفة تدفعه إلى
العمل حياً وكأنها إرادته الخاصة ، قد منكت عليه حسه وشعوره ، فهو
لا يستطيع عنها انصرافاً ولا يملك لها خلافاً .

وتتمثل به حياً آخر شخصاً راصح الخليل ، بين الصوت ، يتم به
إذا اشتد له اليوم ، فيأمره أن يأتى كذا وكذا من الأمر

وكان في هذا الصوت عموص ، وكان في هذا صوت إهم ،
وكان في هذا الصوت حلال مصدره هذا العموص وإهم ، وكان
الفتى يكره ، ويرتاع به ، وكان الصوت يحمره ويبح عليه ، وكان الفتى
يحوف هذا الصوت ويهواه ، وكان هذا الصوت يتحجب الفتى حتى
يؤيسه من نفسه ، ويلم به فيكثر لإلمام ولم يكن هذا الصوت يقع في
أذن الفتى باللفظ كسقى تقع في آذان الناس ، إنما كان يصطع لفظاً
خاصة ، عربية الحرس غريبة المعنى (١)

أم ولده - عند الله - فقد كان صورة طلق الأصل من جده ،
وكان شعاره .

(١) انظر كتاب . وعلى هامش السيرة

وأما لحرام فالحات دونه »

وتقول له فاطمة الخثعمية :

« إني لأعرف فيك نسك أهلك » .

قيته قريش ، وأسرتة ، يوهاشم ، وحده ، عبد المطلب ، سيد قريش إذ ذك ، ووالده عبد الله ، فكان هو محمداً .
وقد حثاره الله للرسالة ، ولكنه ، تعالى اصططعه لنفسه ، قبل أن يمنحه النبوة .

حل هذه الفترة من حياته ، التي مسفت البعثه ، كانت فترة جهاد وصراع روحى هادئ بكل معنى الهدوء ، عفيف أشد لعف ، مستمر لا ينقطع ، فيه الحزن ، وفيه الرجاء ، وفيه الكثير من الأمل والثواب ، الذى يشهد العزيمة ويسد على اليأس القاطط كل منهذ .
من هذه الفترة من حياته كانت على حد تعبير الحميد فى تعريف

التصوف - عنوة لا صلح فيها

كأن صلوات الله وسلامه عليه ، يتوح كل عام جهاده الروحى متصل شهر يقضيه فى عذر حرام حيث الخلوة التامة ، وحيث التجرد المطلق ، أرشه المصنق عن كل ما سوى الله . وهذا فى سحوة الليل ، أو فى رائحه النهار يحاوى محمد أن يحطم الحجب ، وأن يحترق المساتير ، وأن يبعد بصيره إلى عالم لعب ، فيصل إلى مدرة لمنتهى ، وإلى قاب قوسين ، أو أخصى ، حتى شاهد الحبل فى سائه ، والخلال فى عظمته

وكبريائه وجلاله .

ها هو ذا الرسول ، ﷺ ، يذل مجهوداً جبّراً ، لا يكاد الإنسان يتصوره ، فضلاً على أن يأتي بمثله .

وها هو ذا يرى الهدف بعيداً لا يكاد الإنسان يفهمه فضلاً على أن يصل إليه

ها هو ذا ، يرى الطريق ، وعشاء صعبة المرتقى يد أن ذلك كله . لم يكن إلا ليريدته عزمًا على عزم ، وإرادة على إرادة ، وشاطئاً مضاعفاً .

إبه الجهاد الأكبر ، عني حد تعبير الأثر المشهور عن جهاد لنفس لتتركى .

وعضى السون بطيئة سريعة في آن واحد ، وجهاد الرسول ، ﷺ ، لا يفر حتى أصبح أو كاد روحاً حليصة أوقبساً من نور الله وانتهى به الأمر إلى قرب ، يقول عنه الإمام لغزالي إبه

« أول حال رسول الله ، ﷺ حين أقبل على حل حراء ، حيث تنبت ، حين كان يخلو فيه بربه ويتعمد حتى قالت العرب : إن محمداً عشق ربه » .

ثم كانت الرساله ، وكانت المعجزة التي عبرت بحرى التدريج .
(اقرّ باسم ربك لدى خلق خلق الإنسان من علق . اقرّ وربك

الأكرم لدى علم ماقيم علم لإسناد ما لم يعلم (١)

ويقول الدكتور هيكمل :

« واحد محمد فيه في لتبحث حير ما يمكنه من الإمعان فيها
شعبت به نفسه ، من تفكير وتأمل ، كي واحد فيه طمأنينة نفسه ،
وشقاء شفقه بالوحده . يلتمس أثناءها الوسيلة التي يبرح شوقه يشتد
نبيه . من بشاا المعرفة وسنتهام ما في انكون من أسسها
وكون ناعى جبل حراء على فوسحين من شأن مكة عار ، هو
حير ما يصلح للانقطاع وتبحث ، فكان ، يذهب إليه طوب شهر
رمضان من كل سنة يقم به . مكفياً لتقبل من الراد يحمل إليه
معها في التأمل والصدقة ، بعيداً عن صحة أسس ، وصوصاء الحياة .
ملتصفاً الحق ، والحق وحده

ولقد كان يشد به التمل انعاء الحقيقة حتى لقد كان يسي
صدمه ، ويسى كل ما في الحياة . لأن هذا الذي يرى في حياة أسس
بما حوله ، ليس حقاً

« وشارف محمد لأربعين ، وذهب إلى حراء تبحث . وقد متلات
نفسه بما رأى في رؤاه لصدقة . وقد حصت نفسه وقد أدبه
ربه فأحسن تأديبه ، وقد اتعه بقية إلى الصراط المستقيم ، وإلى الحقيقة
خالدة وقد اتجه إلى الله بكل روحه . أن يهدي قومه بعد أن ضربوا في

(١) سره الثاني ٥

تنبأ الصلال .

وهو في توجهه هذا يقوم الليل ، يرهف دهنه وقلبه ، وبصيل
لصوم ، وتثور به تاملاته ، فتجدر من بغار إلى طريق لصحراء ثم يعود
في حبوته بعبود ميممته ما يدور بدنه ، وما يشين له في رؤيه
ولهذا طالت به الحال ستة أشهر ، حتى حشى على نفسه عاقبة أمره .
فأسر بمخاوفه إلى حديثه ، وأظهرها على ما يرى ، وأنه يخاف عبث
الحر به ، فطمأنته الروح المحلصة الوفة ، وجعلت تحذره بأنه الأمين ،
وبأن الجن لا يمكن أن تقترب منه .

ولم يدر بمخاطرها ولا مخاطره أن الله مهيئ مصطفاه بهذه الريبه
الروحية إلى اليوم العظيم وإلى الساعة عظيم يوم الوحي الأول . وهيئه لها
إلى البعث والرسالة .

وهي هو نائم بالعار يوماً ، جاءه الملك وفي يده صحيفة ، فقال له
« اقرأ » (١)

كانت « اقرأ » مفتتح عهد جديد في حياة الرسول ﷺ . فقد تنك
الآية لم يترك رسول الله ﷺ الدعوة إلى الله قط . كان يدعو ليلاً .
وكان يدعو نهاراً وكان يدعو في كل لحظة من لحظاته .
يروى لإمام أحمد عن ربيعة بن عبد وكان جاهلياً أسلم
يقول :

(١) س : حياة محمد ، للدكتور هيكل .

رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، بَصَرَ عَيْنِي سَوْقَ دِي الْحَارِ يَقُولُ :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْلَمُوا » .
وَيَدْخُلُ فَحَاحَهَا وَالنَّاسُ مُنْقَضِعُونَ^(١) عَلَيْهِ ، هَذَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ
شَيْئًا ، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْلَمُوا »
قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَلَةً ثَلَاثَ سِنِينَ مِنْ أَوَّلِ سَنَتِهِ ،
مُسْتَحْصِيًا ، ثُمَّ أَعْسَى فِي الرَّبِيعَةِ ، فَأَحَدٌ يَدْعُو دَاعِيًا إِلَى الْإِسْلَامِ عَشْرَ
سِنِينَ يَوْمَیْ أَنْوَاسٍ كُلِّ عَامٍ يَتَّبِعُ الْحَاحَ فِي مَارِضِهِمْ فِي أَنْوَاسٍ مَعَكَاطِ
وَمَحْصِهِ وَدَى الْحَارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَجْعُوهُ حَتَّى يَبْلُغَ رِسَالَتَ رَبِّهِ ،
وَلَهُمْ الْحَنَةُ ، فَلَا يَجِدُ قَبِيلَةً تَنْصُرُهُ ، أَوْ رِيسًا يَحْبِيهِ ، حَتَّى يَهْ بِسَأَلِ عَنِي
أَقْبَلْتُ وَمَارَاطَهَا قَبِيلَةً قَبِيلَةً وَيَقُولُ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْلَمُوا وَعَلَمُوا بِهَا نَعْرَبُ ،
وَبَدَلُكُمْ الْعَحْمَ ، وَبَدَا آمَنَ كَمِ مَسُوكًا فِي الْحَنَةِ »
وَكَاثَ قَرِيْشٍ تَقَفَ فِي وَجْهِهِ اشْتَارَ الدَّعْوَةَ مُعَارَضَةً لَهَا ، وَمَسْكَتُ
مَنْ يَعْتَنِقُهَا مَا اسْتَطَاعَتْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا

وَلَكِنْ الدَّعْوَةُ كَانَتْ تَنْتَشِرُ شَيْئًا فَبَشَيْئًا ، كَمَا يَعْتَنِقُ الْإِسْلَامَ مِنْ نَحَرٍ
مِنْ رِوِ الْعَادَةِ وَالْإِنْفِ ، وَمِنْ طَلَبِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ ، وَمِنْ بَصَرِ عَلَى
إِبْدَاءِ قَرِيْشٍ ، وَمِنْ لَا تُؤْثِرُ فِيهِ دَعَايَةُ الْفَرَشِيِّينَ .

(١) أَيُّ مُنْقَضِعُونَ عَلَيْهِ

ويذكر من هذا مثاين :

١ كان صياد رحلا من أرد شوءة تخصص في معالجة الأمراض العقية ، كان يعالج بالرفق ، ويعالج بالإيحاء ، ويعالج بالسمس والدعاء ، وكانت مكانته في ذلك الزمن مكانة من سميهم نحر في العصر الحاضر بالأطباء المسمين .

ويذكر الإمام مسلم والإمام البيهقي قصته :
لقد قدم صياد مكة ، فسمع سفاء مكة يقولون
إن محمداً محبوب

سمع هذا الخبر وما سمعه هناك ، وعلم من الخو الاجتماعي ، ومن لأحبار الكثرة أهمية محمد ، فقصوى في هذه مدينة
وصدق صياد واهتم به اهتماماً كبيراً ، وحيل إليه أنه إذا عاخره فقد
اكسب شهرة واكسب ثروة ، فقال أين هذا لرحل ، لعل الله
يشفيه عني يدي ؟

ثم يقول :
فنبئت محمد فقلت

إني رقي من هذه لريح ، وإن الله يشي عني يدي من شاء فها لم
أي أنه بدعوه إلى أن يستسلم له ليعاخره .
فقال له رسول الله ﷺ :

إن الحمد لله بحمده وستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن

يصل فلا هدى له ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً رسول الله .

وتعقبت عينا صياد برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وانصت أدناه وكان كياه
كله مرهفاً مبهوراً .

ثم قال :

والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول سحرة ، وقول لشعراء فما
سمعت مثل هذه الكلمات ، ثم طلب من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إعادتها ،
وكان يسمع بجميع أقطاره .

ولم تكفه الإعادة فطلب من حديد أن يسمعها للمرة الثالثة ، ثم قال
فور الانتهاء من سماعها :

هم بذلك أسمعك على الإسلام ، فقد سمعت كلمات هؤلاء قاموس
البحر

ومعنى أنها سمعت قاموس البحر ، أنها تعمقت إلى أعماق أعرق
نفسه ، ومرتحت بباطنه ، مترحاً كبيراً ، ودفئت أن قاموس البحر هو
أعمق مكان فيه .

ولم يسلم المسلمون فيما بعد ضياد هذا ، فكانوا إذا مرت جيوشهم
على قوم صياد أحسنوا إليهم وقالوا في مودة :

«إيهم قوم صياد»

وكثير ما كانت تلح بدعوة إلى لتوحيد قاموس لبحر على حد

تعبیر ضهاد فلا یبالی من آمن بإیذاه المشرکین .

۲ واحد أبو در لعصاری سمعت به کلمات لتوحید قاموس البحر .
فأغلب علی الملأ من هریش ، غیر مدالی یبانه فی سبیلها من ادى
ونزك الإمام البحاری یدکر قصة اسلامه

روى لإمام اسخاری بسنده عن بن عباس رضى الله عنهما

قال :

ما مع أنا در سمعت رسول الله ﷺ قول لأخيه .

ركب إلى هـ الوادى فاعلم لى علم هـ لرجل ادى برعم له بى
يأتیه الخیر من السماء هاسمع من قوله ثم ائسى

وصلى الآخر حتى قدم وسمع من كلامه ثم رجع بى فى در لقل

هـ

« رأيتہ يأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت كلاماً ما هو بالشعر .
فتروود وحمل شه هـ فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد
فاحس رسول الله ﷺ . ولا يعرفه . وكره أن يسأل عنه ، حتى
أدركه بعض الناس وصطحع فراه على ، فعرف أنه غريب .

هم رآه معه ولم يسأل واحد منها صاحبه عن شيء حتى أصبح
ثم احتل فريته ورده بى المسجد ، دخل ذلك اليوم ولا يرى
لسى ﷺ . حتى أمسى ، فعاد بى مصححه فمر به على فقال .

(۱) ای قرینه

أما آت للرجل أن يعلم مرله ؟
 فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء . حتى
 إذا كان اليوم الثالث فعاد على عبي مثل ذلك فأقام معه فقال :
 « ألا تحدثني بالذي أقامك ؟ »
 قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ،
 فعزل فأخبره
 قال :

فأبه حق ، وبه رسول الله ، ﷺ . فإذا أصبحت فاتبعني ، فإن
 رأيت شيئاً أحاف عليك فمت كأني أريق الماء . وإن مصيب فأتبعني حتى
 تدخل مدخلي .
 فعزل . فاطلق يقهوه حتى دخل على أبي ، ﷺ ، ودخل معه ،
 فسمع من قوله ، وأسلم مكانه .
 فقال له النبي ﷺ :

« ارجع إلى قومك فأخبرهم ، حتى يأتبك أمرى »
 فقال : والذي بعثت بالحق لأصرحن بها بين ظهرانيهم
 فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله
 وأن محمداً رسول الله ثم قام القوم فصرخوا حتى أصبحوه .
 فأتى العباس فكتب عليه فقال : ويحكم ! أنستم تعلمون أنه من
 عفار ، وأنه طريق تجارتكم إلى الشام ؟

فأنقذه منهم . ثم عاد من لعد بمثله ، فصريره وثاروا إليه ، فأكب
العباس عليه

كان المشركون كلهم رأوا شخصاً يدخل الإسلام رد شاطئهم ،
وانتخذوا كل ما يستطيعون من احتياطات حتى لا يدخل أحد بعد في
الإسلام ، وكان من احتياطاتهم :

١ - التشكيل والتعذيب والإرهاب بكل الوسائل .

٢ - الدعاية الكاذبة ضد محمد ﷺ .

٣ - الترغيب حيث لا يستطيعون الإرهاب ، أو حيث لا يكون
الإرهاب محدياً .

ولن نتحدث عن التشكيل والتعذيب الذي أوقعوه على المستضعفين
أمثال :

بلال ، وعمار بن ياسر ، وسمية ، وأمثالهم .

ولن نتحدث عن الإرهاب الذي استعملوه مع رسول الله ، ﷺ ،
ومع الأمرة الهاشمية ، ولكننا نعرف أنهم استعملوا مع رسول الله ﷺ
وسائل الترغيب أيضاً في أقوى وأخصب صورة .

وبينا كانت وسائل التعذيب بالمستضعفين من المسلمين تخرب على
قدم وساق لا فتور فيها ولا هدنة ، إذا بوسائل الترغيب والإغراء تكال
إلى رسول الله ﷺ كيلاً .

وهذه صورة منها :

كان عتبة بن ربيعة سيداً في قومه ، ذات يوماً ، وهم جالس في ردى
قريش ، ورسول الله ﷺ ، جالس في المسجد وحده . يا معشر
قريش ، ألا أقوم بن محمد ، وكلمه . وأعرض عليه أموراً ، لعله يفعل
بعضها فعطيه أيها شاء ؟

ودبت حتى أسلم حمزه . ورأى أصحاب رسول الله ﷺ ،
يريدون ويكثرون .

فقالوا : يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال
« يا بني أخي إني ما حييت قد عمت من أسطة في العشرة والكمال
في أسس . وبيت قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جيعتهم ،
وسميت به أحلامهم ، وعنت به آفتهم ، وكفرت من مصي من
آثامهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها عندك ثقل مني
بعضها .

فقال رسول الله ﷺ :

« قل يا أبا الوليد اسمع »

قال : « يا بني أخي

إن كنت بما تريد بما حثت به من هذا الأمر مالا جمعناك من
أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ؟
وإن كنت تريد به شراً سودناك عيب ، حتى لا تقطع أمراً دونك ؟

وإن كنت تريد به ملكاً ملكاً علينا ؟

وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك
طناً لك لصب ، وبدلاً منه مواناً حتى يبرئك منه ، فإنه ربما غلب
التناع على الرجل حتى يداوى منه ؟

حتى إذا فرغ عتة ، ورسول الله ﷺ ، يسمع منه ، قال
أفرغت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم

قال : فاسمع مني

قال : أفعل .

قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم حم نزل من الرحمن الرحيم كتب
نصت آياته قرآن عربياً لقوم عجمون ، شيراً ونديراً فأعرض أكثرهم فهم
لا يسمعون .

وقالوا قلوسا في أكّة مما تدعونا إليه ، وفي آذنا وقر ، ومن يسا
وبيك حجاب فاعمل إننا عاملون .

قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما يبلغكم إلهٌ واحد ، فاستقيموا
إليه واستغفروه وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة
هم كاهرون .

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون (١)
 ثم مضى رسول الله ﷺ ، يقرأها عليه ، فلما سمعها منه عتبة
 أنصت لها ، وأثنى يديه حنف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه .
 ثم نهى رسول الله ﷺ ، إلى السجدة ، فسجد ، ثم قال
 « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » ؟
 فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض :
 لحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بخبر الوحي الذي ذهب به .
 فلما جلس إليهم قالوا :
 « ما وراءك يا أبا الوليد » ؟
 قال :

« ورأيتني سمعت قولاً ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو
 بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة .
 يا معشر قريش ، أطيعوني واحملوها لي ، وحلّوا بين هذا الرجل
 وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله سيكون لقوله الذي سمعت منه نأ .
 فإن نصبه العرب فقد كفتموه بغيركم ، وإن يظهر على لعرب ، فلكم
 ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به »
 قالوا : « سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه » .
 قال : « هذا رأي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم » .

(١) سميت الآيات : ١ - ٨

قد يقول قائل إنه لو عرض على محمد ﷺ ، هذا العرض من
 هيئة تستطيع تنفيذه لقبل
 هذا القول بقصه . أن عتبة كان مفوضاً من زعماء قريش ،
 وينفذه أيضاً الخبر الذي ترويه كتب السيرة .

ولقد اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن
 حرب ولنصر بن الحارث - أخو بني عبد الدار وأبو البحنري بن
 هشام ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد ، ورمعة بن الأسود ، والوليد
 ابن المعيرة ، وأبو جهل بن هشام - عنده لمة الله وعبد الله بن أبي
 أمية ، وبعاث بن وائل ، ونبيه ومبه ابنا الحجاج السهميان ، وأمية بن
 خلف ، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم
 لبعض :

« ابعثوا إلى محمد فكلّموه ، وحاصموه ، حتى تعدروا فيه »
 « فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلّموك فأتهم . فحاء
 رسول الله ﷺ ، سريعاً وهو يظن أن قد بد لهم فيما كلمهم فيه ،
 وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعر عليه عنهم ، حتى جلس إليهم
 فقالوا له .

« يا محمد : إنا بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من
 العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك . لقد شتمت
 الآباء ، وعبت الدين ، وشمت الآلهة ، وسفّهت الأحلام ، وفرقت

الجماعة ، فما نفي أمر فييح إلا حثته فيما بينا وبينك .
فإن كنت إني جئت هذا الحديث نصيب به مالا جمعاً لك من
أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ؟

وإن كنت إني تصيب به شرف فيما نحن سودك عليه ؟
وإن كنت تريد به ملكاً ، ملكتك عينا ؟
وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً ، نراه قد علم عيتك وكونوا
يسمون اتبع من الحسن رثياً ، ندنا لك من أموالنا في طلب الطلب لك
حتى نبرئك منه ، أو نعدرك فيك ؟
فقال لهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ما لي ما تقولون ، ما حثت بما جئتكم به ، أطلب أموالكم
ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم
ولكن الله بعني إليكم رسولا ، أنزل على كتاباً وأمرني أن أكون
شيراً ونذيراً فبعتكم رسالات ربي ، وصححت بكم ، فإن تقبوا ما
حجتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر
الله ، حتى يحكم بيني وبينكم .

واستمر الأمر كذلك ولا يكف المشركون عن معارضة والإيذاء ،
حتى كاث السنة الحادية عشرة من بونه ، صلوات الله عليه وسلامه ،
وكان الإسراء والمعراج ، فارتد من ارتد ، وثبت من ثبت .
كان حدث الإسراء والمعراج هو حدث انتصية الكاملة

وكان الفصل بين الطائفتين طائفة ثابتة على إيمانها . لا تزعزعها
الأعاصير . بيد الحسد ولا الخيـد وضائفة مشرقة . قد حكمت أمرها .
ورنت شئوها . وجرمت لعزم عبيد تقصى على الإيـلام منها طـل
الرمـن .

ما الإسراء والمعراج ؟

كف حدثا !

وماذا تضمننا من مبادئ ؟

وما السانح التي ربيب عليها ؟

الفضل الثاني

الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة

نصوص قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(سجّاد الذي أسرى عبده ليلاً من مسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لدى باركنا حوله ليريه من آياتنا ، إنه هو السميع العليم)^(١)
(والنحم إذا هوى ، ما صل صاحبكم وما عوى ، وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . فتبارك على ما يرى ولقد رآه برقة أخرى . عند سدرة المنتهى . عنده جنة المأوى إذ يعشي السدرة ما يعشى ، ما راع النضر وما طعى لقد رأى من آيات ربه الكبرى)^(٢) .

(إنه لقوب رسول كريم . ذو قوة عند ذي العرش مكين مصدع ثم أمين وما صاحبكم بمبحون . ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على

(١) سورة الإسراء آية ١

(٢) سورة النجم الآيات ١ - ١٨

العييب بضنين^(١) .

* * *

إن في آيات سورة اسعج الشريعة تكريماً عظيماً لرسول ﷺ .
فقد :

- ١ - زه الله علمه عن الضلال : (ما ضل صاحبكم)
- ٢ - وعمله عن الغواية : (وما غوى)
- ٣ - وبطقه عن الهوى : (وما يطق عن الهوى) .
- ٤ - وفؤاده عن التكذيب : (ما كذب الفؤاد ما رأى) .
- ٥ - وبصره عن الزيف : (ما زاغ البصر) أي ما التفت إلى غير
الجهة التي تعبته .
- ٦ - وعن الطغيان : (وما طعى) ، والطغيان مجاوزة الحد .
وقد أكد الله سبحانه وتعالى ذلك كله ، وأقسم عليه ، ولا ريب
أنه شاء من رب العزة على رسوله ﷺ ، في ررع صودة . وستزيد هذه
لآيات شرحاً فيما بعد إن شاء الله .

* * *

(١) سورة النكوير الآيات ١٩ - ٢٤

الأحاديث النبوية

١

قال الإمام أحمد : حدث حسن بن موسى ، حدث حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت السائي ، عن أس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال :

« أتيت بالبراق وهو دابة مصء ، فوق الخمار ودون الغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته ، فصار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة في حلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فتأتى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن

فقال جبريل : أصبت الفطرة

قال : ثم عرج بي إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل فقيل له : من أنت ؟

قال : جبريل ، قبي ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لك فإذا أنا مآدم فرحب بي ودعني بحير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل ، فقيل له . من أنت ؟

قال جبريل ، قيل . ومن معك ؟ قال . محمد ، قيل . وقد أرسل إليه ؟

قال . قد أرسل إله ، ففتح لنا بإدانا إلى الحالة بحبي وعيسى مرحبا بي ودعوا لي بحير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل . وقد أرسل إليه ؟

قال . قد أرسل إليه ، ففتح لنا بإدانا إلى يوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن . فرحب لي ودعا لي بحير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، فقيل . ومن معك قال محمد ، فقيل . وقد أرسل إليه ؟

قال . قد بعث إليه ، ففتح لنا بإدانا إلى إدريس ، فرحب لي ودعا لي بحير ، يقول الله تعالى :
(ورفعناه مكاناً علياً) (١) .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل . فقيل . من أنت ؟

(١) سورة مريم آية ٥٧

قال : حبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال محمد ، فقيل : قد أرسل
إليه ؟

قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا هارون ، فرحب بي ودعا
لي بحبر .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل ، فقيل : من
أنت ؟

قال : جبريل : قيل : ومن معك ؟

قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ . قال : قد بعث إليه ،
ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بحبر .
ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح حبريل ، فقيل : من
أنت ؟

قال : جبريل : فقيل : ومن معك ؟

قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح
لنا ، فإذا أنا بإبراهيم عليه لسلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ،
وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك . ثم لا يعودون إليه .
ثم ذهبت إلى سدرة المنتهى ، فإذا أوراقها كأذان الفيلة ، وإذا ثمرها
كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها ، لا أحد من خلق الله يستطيع
أن يصفها من حسنها ، قال : فأوحى الله إلي ما أوحى . وقد فرض على
في كل يوم وليمة خمسين صلاة .

فترلت حتى انتهت إلى موسى . قال : ما فرص ربك على أمتك ؟
 قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال : ارجع إلى ربك ،
 فاسأله التحفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، وإنى قد بلوت بيني
 إسرائيل وحبرتهم .

قال : فرجعت إلى ربي فقلت : أي رب حمف عن أمتي ، وخط
 عن أمتي خمساً .

فترت حتى انتهت إلى موسى فقال : ما فعلت ؟ فقلت خط عني
 خمساً ، فقال : إن أمتك لا تطيق ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله
 التحفيف لأمتك .

قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويخط عني خمساً خمساً
 حتى قال : يا محمد هر خمس صلوات في كل يوم وليلة تكن صلاة
 عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة ، فلم يعملها كتبت له
 حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ، ومن هم بسيئة ، فلم يعملها لم
 تكتب ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

فترت حتى انتهت إلى موسى فأحبرته فقال : ارجع إلى ربك
 فاسأله التحفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقد رسول الله
 ﷺ :

« لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت » .

رواه مسلم بهذا السياق

قال السبقي وفي هذا السياق أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس .
ويقول ابن كثير عن ذلك :
وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية .
* * *

وقبل أن نبدأ أحاديث أخرى نذكر أنه :
ذهب اأهمهور من علماء المحدثين والمفهاء ، ولتكنمين ، إلى أن
الإسراء والمعراج :
وقعا في ليلة واحدة في اليمظة .
بحمد النبي ﷺ وروحه .
بعد المعثة .

ولقد توارد على ذلك كما يقول الإمام ابن حجر طواهر الأخبار
الصحيحة ، ولا ينبغي العدول عن ذلك ، رد ليس في العقل ما
يحيله ^(١) حتى يحتاج إلى تأويل .
ولو كان ذلك مناماً ، أو باروح فقط لا كدب رسول ﷺ
مكذب ، لحوار وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس .
إن الناس في الرؤيا يرون أنهم سافروا وأعدوا ، وذهبوا وجاءوا
وعقدوا بالعقود ورؤوا نتائج عقودهم ، وثمار عهودهم ، فلو كنا نصدد

(١) يرضه مستحيلاً

رؤيا لما رتاب في صدق الصدوق صلوات الله وسلامه عليه
نسان .

ولما أشمقت السيدة أم هانئ رضى الله عنها على رسول الله ﷺ ،
لم أحبرها الخبر وقال : إنه سيحدث الناس به ، فأرادت منه أن يعدل
عن ذلك قائلة : هم سيكدونك . فلم يستجب صلوات الله وسلامه
عليه لصيحته ، لأن الحق يسعى أن يداع ، وأذاعه ، ﷺ ، بين
الناس ، وحدث ما حدث مما سنذكر بعضه فيما بعد إن شاء الله

٢

وفي حديث عبد الطبراني وإسراؤه عليه الصلاة والسلام : مر على
قوم يزرعون ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان
فقال جبريل عليه السلام : ما هذا ؟

قال هؤلاء مجاهدون في سبيل الله ، تضاعف الحسنة إلى سبعةائة
ضعف ، وما أمقوا من شيء فهو يحلقه وهو خير الراقين
ثم أتى على قوم ترصع رؤوسهم بالصخر ، كلما رضعت عادت كما
كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال هؤلاء الدين تشاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .
ثم أتى على قوم ، على أقبالهم رقاع ، وعلى أدمارهم رقاع ،

يسرحون كما تسرح الأنعام ، يأكلون الصريع والزقوم ورضف جهنم
فقال : ما هؤلاء ؟

قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما
ريك بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ، ولحم نئ خبيث ،
فجعلوا يأكلون من النئ الخبيث ويدعون النضيج .

فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال جبريل :

هذا الرجل من أمك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فتأتي امرأة
حينئذ هيئت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً
طيباً ، فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح .

ثم أتى على رجل قد جمع حرمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها
وهو يزيده عليها .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال هذا الرجل من أمك ، تكون عليه أمانات الناس ، لا يقدر
على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشماهم بمقاريض من حديد ، كلما
قرضت عادب كما كانت لا يقرضهم من ذلك شيء .

قال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء الصفة

قال : ثم أتى على حجر صغير يخرج منه نور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا لرحل يسكنكم الكلمة العظيمة يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها .

ثم أتى على وِدٍ توحده فيه ريح طيبة نادرة ، وريح مسك . وسمع صوتاً

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت الجنة ، تقول :

رب آتني ، وعدتني ، فقد كثرت عروى وإستبرقى ، وحريرى
وسندسى ، وعقرى ، ونؤنؤى ، ومرحاضى ، وفصنى ، ودهبى .
وأكوابى ، وصحافى وأباريقى ، ومركبى ، وعسلى ، ومائى ، وسبى .
وحمرى ، فاتنى بما وعدتني ! !

قال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن لى
وبرسى ، وعمل صالحاً ولم يشرك لى شيئاً ، ولم يتحد من دون الله
أنداداً

ومن حشيتنى فهو آمن ، ومن سألى فقد أعطيته ، ومن أقرصنى
حازيته ، ومن توكل على كفيته .

يسى أ، الله لا إله إلا أنا ، لا أحلف بالميت ، قد أفلح المؤمنون ،
 وتبارك الله أحسن الخالقين :
 قالت : فقد رصيت .
 ثم أتى على وادٍ فسمع صوتاً مكرراً ووحداً ربحاً منتبهاً
 فقال : ما هذا يا جبريل ؟
 قال : هذا صوت جهنم ، تقول :
 رب آتني بما وعدتني : فقد كثرت سلاسلي ، وعلالي وسعيري
 وحميمي ، وضريعي ، وعسافي ، وعدابي ، وقد بعد قعري ، وشندي
 حري ، فآتني بما وعدتني .
 قال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل حمار لا يؤمن
 بيوم الحساب .
 قالت : قد رضيت
 فسار حتى أتى بيت المقدس .

٣

وفي رواية أبي سعيد عبد الله بن عيسى . دعاني داعٍ عن يميني ، فطردني
 أسألك ، فلم أجبه .
 ثم دعاني آخر عن يساري لذلك فلم أجبه . وفيه :

إذا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقتها الله تعالى ،
فقال :

يا محمد : أنظرني سالك ، فلم ألتفت إليها . وفيه :
أن جبريل قال له :

أما الداعي الأول : فهو داعي اليهود ، ولو أجبته لهدت أمتك .
وأما الثاني : فداعي نصارى ، ولو أجبته لتصرت أمتك .
وأما المرأة : فالديا .

وإن حديث أبي سعيد أنه رأى أخوة عليهما لحم طيب ليس عليهما
أحد ، وأخرى عليهما لحم ثثن ، عليهما ناس يأكلون

قال جبريل . هؤلاء الدين يركون لحلال ويأكلون الحرام
وفيه أنه من يقوم بطوبى أمثال السيوت ، كما بهن أحدهم خرم ،
وإن جبريل قال له :

هم أكلة الربا .

وأنه من يقوم مشافهم كالإبل ، يلتقمون جمرأ فيحرق من
أسافهم ، وإن جبريل قال :

هؤلاء الدين يأكلون أموال اليتامى ظلماً

وأنه من ساء تعقش بلديهن ، وأنهن الرواني .

وأنه من يقوم يقطع من جنوبهم اللحم ، فيطعمون ، وأنهم العمازون
المارون .

وفيه حتى نُتيت بيت مقدس ، أوثقت دانتى بالحلقة التي كانت
الأنبياء تربطها فيها ودحت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد
منا ركعتين .

٤

وفي رواية أسس عند مسلم
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فحاضني
جبريل عليه السلام . بإباء من حمر وإباء من لبن ، فاحترت اللبن
فقال جبريل :
احترت الفطرة أي احترت اللبن الذي عليه بيت الخيمة وهما
النوى :

المراد بالفطرة هنا : الإسلام والاستقامة



وفي رواية ابن مسعود نحوه ، وزاد :
ثم دخلت المسجد فعرفت السيبي ما بين قائم ، وراكع وساجد .
ثم أدن مؤذن فأقيمت لصلاة ، فقما صهوقاً ننتظر من يؤمنا ،
فأخذ بيدي جبريل فقدمي فصليت بهم .

٦

وفي رواية أبي أمامة عن الطبراني :
ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً ﷺ .

٧

وأخرج البيهقي من طريق قتادة عن أنس :
« أن محمداً ﷺ رأى ربه عز وجل »

٨

وأخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى
(وما جعلنا الرؤيا التي أرياك إلا فتنة للناس) .
قال :

« هي رؤيا عين أراها رسول الله ﷺ ، ليلة أسرى به »
وأخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان
يقول

« إن محمداً ﷺ ، رأى ربه مرتين : مرة ببصره ، ومرة بفؤاده » .
وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال :

نظر محمد إلى ربه ، قال عكرمة : فقلت له : نظر محمد إلى ربه ؟
قال . نعم ، جعل الكلام لموسى ، والحلة لإبراهيم ، والنظر محمد
ﷺ .

٩

وأخرج البيهقي في (كتاب الرؤيا) بلفظ :
« إن الله اصطفى إبراهيم بالحلة ، واصطفى موسى بالكلام ، واصطفى
محمدًا بالرؤيا » .
وأخرجه بلفظ :
« أتعجبون أن تكون الحلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤيا محمد
ﷺ » . ١٩

١٠

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله
ﷺ .
« رأيت ربي عز وجل » .

١١

وأخرج مسلم عن أنس قال قال رسول الله ﷺ :

« مررت ليلة أسرى في علي موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره »

١٢

وأخرج الطبراني عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ « مر على موسى وهو قائم يصلي في قبره » (١) .

١٣

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة عن أنس ،
« أن النبي ﷺ فرصت عليه الصلاة ليلة أسرى به »

١٤

وأخرج ابن مردويه من طريق قتاده ، عن مجاهد ، عن ابن عباس
عن أبي بن كعب ، عن رسول الله ﷺ قال :
« ليلة أسرى في وحدت ربحاً طيبة ، فقلت يا حبريل ، ما هذه ؟
قال :

هذه الماشطة وروحها وابيها ، بيها هي تمشط ابنة فرعون ، إذا سقط
المشط من يدها ، فقالت تعس فرعون ، فأخبرت أنها فقتلها

(١) وهذه رواية أخرى تؤيد السابقة ، رواها متعمدين لما سذكروه من هذا الموضوع

وأخرج أحمد والسنائي ولبيد والطبراني والبيهقي ، وابن مردويه
بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال

قال رسول الله ﷺ :

ولما (١) أسرى في مرت في راحة طيبة ، فقلت :

ما هذه الراحة ؟

قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها .

فقلت بسم الله .

فقلت انى فرعون : أنى ؟

قالت : ربي هو ربك ورب أبيك .

قالت : أولك رب غير أبي ؟

قالت : نعم .

فدعها فقال : أنك رب عيرى ؟

قالت : نعم ، ربي وربك الله

فأمر سقرة من نحاس ، فأحسيت . ثم أمر بها لثقي فيها وأولادها

فألقوا واحداً واحداً ، حتى بلغ رصيماً فيهم فقال :

قعى يا أمه ولا تقاعسى فإنك على حق .

(١) هذه رواية غير السابقة

قال . وتكلم أربعة وهم صغار . هذا ، وشاهد يوسف ، وصاحب
حريج ، وعيسى ابن مريم .

١٦

وأخرج ترمذي وحسنه وابن مردويه عن طريق عبد الرحمن عن
ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :
« لقيت إبراهيم ليلة أسرى لي فقال :
يا محمد ! قرئ أمتك مني لسلام ، وأحرمهم أن الحنة طيبة ، وترمة ،
عدنة الماء ، وأنها قيعان ، وأن عراسها سبحان الله ، والحمد لله ،
ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »

١٧

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه ، عن أبي أيوب الأنصاري أن
رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مر على إبراهيم عليه السلام ، فقال له
إبراهيم :
مر أمتك فيكثروا من عرس الحنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها
واسعة ، فقال النبي ﷺ :
« وما غراس الحنة ؟ »
قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وأخرج أحمد وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن حنبل عن أنس
قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم
وصناديرهم فقلت :

من هؤلاء يا جبريل ؟

قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم » .

وأخرج ابن مردويه ، من طريق قتادة وسلمان التيمي وثمامة وعلى
ابن زيد ، عن أنس أن النبي ﷺ قال :

« لي به أسرى بي مررت ببس تفرص شفاههم تفرص من دركها
قرضت عادت .

فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء أمتك ، يقولون ما لا يفعلون » .

وأخرج ابن ماجة والحكيم الترمذى فى (نوادر الأصول) ، وابن أبى
حاتم وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك ، عن أنس قال .
قال رسول الله ﷺ :

« رأيت ليلة أسرى بى مكتوباً على باب الجنة - الصدقة بعشر
أمثها ، والقرض بثمانية عشر
فقلت للحبريل :

ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟
قال : لأن السائل يسأى وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من
حاجة »

أخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله
ﷺ :

« رأيت ليلة أسرى بى رجلاً يسبح فى سحر يقوم بالحجارة .
فسألت : من هذا ؟

ف قيل لى : هذا آكل الربا » .

وحاء في رواية أبي سعيد الخدري عن النبي ، وفي رواية أبي هريرة
عن ابن أبي حاتم :
« فإذا أنا بأقوم بطوبهم أمثال لبيوت كلما بهص أحدهم حر ،
فيقول :

اللهم لا تقم لساعة وهم على ساعة آف فرعون ، قال :
فتجىء الساعة ، فتطوهم ، قال فسمعتهم يصيحون إلى الله ، قال :
قلب يا جبريل من هؤلاء ؟
قال : هؤلاء من أمثلك :
(الذين يأكلون الربا ، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتحبطه
الشيطان من المس) (١) .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول :

« لما أسرى بي انتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها أمثال الفلال » .

(١) سورة النور من آية ٢٧٥

وعن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه الإمام أحمد قال
قال رسول الله ﷺ :
« لما كانت ليلة أسرى بي . وأصحت ممكة . فطعت أمري .
وعرفت أن الناس مكذبني »
قال . فرعدو الله أوجهل . فحاء حتى جلس إلي . فقال له
أوجهل كالستهزي :
هل كان من شيء ؟
فقال رسول الله ﷺ :
« نعم »
قال : ما هو ؟
قال :
« إنه أسرى بي الليلة » .
قال : إلى أين ؟
قال :
« إلى بيت المقدس »
قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال :

« نعم »

قال : فلم ير أنه يكذبه ، مخافة أن يبحده الحديث إذا دعا .

قال : أرايت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثني ؟

فقال رسول الله ﷺ .

« نعم »

فاطلق أبو جهل إلى قريش فقال :

هيا يا معشر بني لؤي .

قال فانتقصت إليه ، محالس ، وحاءوا حتى جلسوا إليهما

فقال أبو جهل : حدث قومك بما حدثني

فقال رسول الله ﷺ .

« إني أسرى في الليلة »

قالوا : إلى أين ؟

قال :

« إني بيت المقدس » .

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال :

« نعم »

فد بالقوم بين مصفق ، وبين وضع يده على رأسه متعجباً !

قالوا : وهل تستطيع أن تتعت لنا المسجد ؟
وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد - فقال
رسول الله ﷺ .

« فذهبت أعت ، فما رلت أعت حتى النبس على بعض المعب
وحىء بالمسجد وأنا أنظر ، حتى وصع دون در عقيل فنعته وأنا أنظر
إليه » .

قال : فقال القوم : « أما أعت غرالله لقد أصاب » .
وعن الحسن أنه في يوم الحديث عن الإسراء : ارند كثير ممن كان
أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر ، فقالوا له
- هل لك يا أبا بكر في صاحبك !
يرعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع إلى
مكة !

فكان لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؟ !
فقالوا : لا ، ها هو داك في المسجد يحدث به الناس
قال أبو بكر : والله لئن كان قاله نقد صدق ما يعجبكم من ذلك ؟
هو الله به يخبرني : أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة
من ليل أو نهار فأصدقه ههنا أبعد مما تعجبون منه
ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله أحدثت
هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة

قال :

« نعم »

قال : يا نبي الله قصه لي فاني قد جئت ؟

قال الحسن : فقال رسول الله ﷺ :

« فرجع ي حتى نظرت إليه » . ف جعل رسول الله ﷺ ، يصمه لأبي بكر ، ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، قال : حتى انتهى قال رسول الله ﷺ ، لأبي بكر وأنت يا أبا بكر : « الصديق » فيومئذ سماه « الصديق » .

• • •

هذا هو الموحى الذى ترويه السنة مؤيدة لقرآن عن هذا السأ الخليل ، ولقد حاول ابن إسحاق أن يبين الحكمة فى هذا الحدث فقدم - حسبا يروى ابن هشام - الحديث الإسراء بكلمة بعيسة يقول فيها :

« وكان فى مسراه وما ذكر منه ، بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه ، فيه عزة لأول الأئب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق . وكان من أمر الله على يقين . فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته الكبرى ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطه العظيم ، وقدرته التى يصنع » . يريد .

أم الإمام الوصيرى فإنه يقون فى « همرته » المباركة :
 فطوى الأرض سائراً والسموا
 ت العلا فوقها له إسراء
 نصف المبة التى كان للمخ
 تار فيها على البراق استواء
 وترقى به إلى قاب قوسين
 وتلك السيادة القعساء
 رتب تسقط الأمانى حصرى
 دونها ما وراءهن وراء
 ثم واق يحدث ناس شكرياً
 إذ أتته من ربه النعماء
 وتحدى فارتاب كل مريب
 أو يبقى مع السيوف القناء ؟
 هذا البأ الخليل يسمعه قوم ، فلا يصل إلا إلى الخوانب الظاهرية
 منهم ، فيأخذون و لحدل الشكى ، أكان ذلك فى ايقطة ؟
 أم كان ذلك فى النوم !
 أكان ذلك بالروح والحسد ؟
 أم كان بالروح فقط ؟
 وهل كان ليلاً ؟

أم كان نهاراً؟

وهذه كلها صور من الحدل الذي يشور ، حيث يحف ورب الإيمان في النفوس (١) ويسمع هذا السأ قوم ، فيصل إلى أعماق قلوبهم ، فيسبحون في صورة طبيعية إلى معزاه لعميق ، وإلى روحانيته السامية ، ويرون أن هذا السأ . يطلو على توجيهات لا ينبغي أن يمر عليها الناس من الكرم

من هذه التوجيهات :

١ لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، خاتمة سلسلة من الأنوار التي يرسلها الله إلى العالم بين الفسحة والعبية لتهدى إلى الرشاد ، ولتقود إلى الله ، ولتسمو بالمتوسمين درجات في معارج القدس . لتصل

(١) يقول شوقي رحمه الله في قصيدته التي عارض فيها الإمام البوصيري هذه الأبيات جميلة

بتسليو	وأنت أظهر هيكل	بالروح أم بالمهكل	الإسراء
بها سموت مطهرأ	وكلامها	نور وروحانية	وسماء
فصل عليك لدى الحلال ومنة		واقه يفعل ما يرى وبشاء	
تغشى المبوب من العوالم كالي		طويت سماء قمذتت سماء	
لي كل منطقة حواشي نورها		نون وأنت السقطة الرهراء	
أنت الحلال بها وأنت تحتل		والسكب والمرأة والحناء	
الله هيا من حظيرة قدسه		تولا لذاتك لم يحزه علاه	
العرش تحتك سدة وقوائم		ومناكب الروح الأمين وطاه	
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم		حاشا لغيرك موعد ولقاء	

بالخديريين منهم إلى لكمال المرجو ، عن طريق الإرشاد الإلهي وكان الكتاب الذي أنزل عليه ، صلوات الله عليه وسلامه ، وهو القرآن .
حائتم الكتب وأكملها ومهيماً عليها .

ولأن رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، تخلق بأخلاق أكمل كتاب رباني ، فهو إذن أكمل رسول ، ومن هنا كانت إمامته ، صلوات الله عليه وسلامه بالرسل والأنبياء في بيت المقدس .

ولأنه صلوات الله عليه وسلامه أكمل رسول :

كان من أحسن ذنث أقرب المقربين إلى الله سبحانه وتعالى
لقد تخطى الأرضين والسماوات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل إلى ما
لم يصل إليه بشر ، بل إلى ما لم يصل إليه خيريل نفسه ، عليه السلام ،
لقد وصل ، صلوات الله وسلامه عليه إلى .
« قاب قوسين أو أدنى » .

وكما أن المعنى الذي يدل عليه باب المعراج من وحرد الأنبياء والرسل
في السماوات ، ومن أن لرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، أخذ
يتجاوز هذه السماوات الواحدة بعد الأخرى ، يتجاوز الأنبياء واحداً
بعد الآخر ، نقول : كما أن المعنى الذي يدل عليه السأ معى مكاني ، فإنه
أيضاً - بن بطريق أو - معى روحي أي أن لرسول ، صلوات الله
عليه وسلامه في سامية الروحي في كل لحظة من اللحظات قد بلغ
معراجه إلى درجات تجاوزت - في روحيتها - آدم في سمائه الأولى ، ثم

تجاورت . . . و هكذا حتى تجاوزت روحياً إبراهيم عليه السلام في
 سمائه السابعة لقد تجاوز رسول الله ﷺ كل ذلك ، وتجاوز الكون
 كله إلى سدرة المنتهى ، إلى السدرة المنتهى ، إلى شجرة النهاية ، ثم
 إلى حيث لا يبلغ ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلى « باب هوسين أو أدنى »
 ولقد رأى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله
 وسلامه عليه ! !

* * *

ونكر بعض الناس ينزل بنا من هذه الآفاق العليا والسموات
 السامية ، ومن الرحاب الإلهي . ينزل بنا مسحوراً فيجادل في الإسماء
 والمراح
 أكان رؤيا ؟
 أم كان يقظة ؟
 أستغفر الله وأتوب إليه . . .
 إن ذلك الجدال إن دل على شيء فإما يدل على ضعف الإيمان في
 قلب المجادل الماركو .

* * *

٢ - وإذا كانت التوجيهات السابقة ، إنما كانت ننسنا على مقام
 رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، فنرد بذلك تقدير واجباً
 واتباعاً ، فإن من هدى الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته في سبيل الإسماء

والمعراج - هذه لرميزات الأخلاقية التي تربط ربطاً محكماً بين الدين والأخلاق .

والواقع أن الأخلاق في حر الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطاً لا ينفصل : منه تبع ، وعلى أساسه تقوم ، ومنه تصدر ، يحرء من الدين الإسلامى ، لا يتجرأ ، مصدرها هو مصدره : هى رباى وبعض أساس فى العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى

يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الصمير ، بيد أن ذلك خطأ بين ، فالصمير يرى ويكون ، وتربيته وتكوينه هم شكله ، وبرعته وتجاهه ، الذى يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط . إن الصمير يصنع كما تصنع المربعات ، وهو إذن مقياس للأخلاق خاطئ .

وبعض أساس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى مصلحة العامة ، ولكن لمصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة إما يتحدث باسم فكرته هو ، محرقة كاس هذه الفكرة أو غير محرقة .

ومصلحة العامة إذ كاس الأخلاق إما هى أساس غير مضمون .

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى مصلحة شخصية أو

اللذة ، أو إلى المنفعة ، وكل هذا وارد الغرب عندما انحرف هذا الغرب وألحد .

نما ورد الشرق الإسلامى ، أو تعبير أدق ، ورد الإسلام الإلهى ، حين مميزات الأخلاق فيه : إنما هو المبادئ الدينية ، إنما هو آيات القرآن ، وإنما هو الفضائل التى أوحاها الله ، سبحانه وتعالى هذه الفضائل التى حددها القرآن فى أسلوب عربى مبين ، وتحدث عنها بأالإسراء والمعراج فى صور رمزية دالة هادفة مؤثرة ، وبأسلوب السوية الشريعة ، وركزها لقرآن والسنة على أسس من الإيمان قوية ثابتة . إنما فى رحلة الإسراء والمعراج تكون مسج حياة مؤسسة على الإيمان بالله ورسوله ، وهذا مسج هو الذى يريد رسمه الآن تنوير الله تعالى .

الفصل الثالث

منهج الحياة الذي رسمته أنبياء
الإنسواء والمنعرج

ويعود من حديد إلى أسنيد حادث الإسراء والمعراج في السنة الشريفة ، فنقول :

إن حادث الإسراء والمعراج ورد في روايات عدة ، منها الصحيح ، ومنها الحسن ، أخرجها أئمة الحديث رضوان الله عليهم ، يذكر بعضها ما لم يذكره البعض الآخر ، تنفق في جوهرها ولا تتعارض في حقيقتها ، يروونها بعضهم مختصرة ، ويروونها بعضهم متوسطة ، ويروونها بعضهم مطولة ، وكل صورة منها يتعدد سندها ، أي يختلف الرواة الذين رووها ، ومع ذلك تكون الصورة واحدة في جوهرها .

الحوهر إذن متواتر ، وإذا أخذنا برأي الإمام ابن حزم في أن المتواتر ما روى برويتين فإن التفاصيل - في أغلبها - تكون أيضاً متواترة . كل هذا مع ثبوت الأمر في جوهره بالكتاب العزيز ونحن إذن حينما بدأنا في الحديث عن الإسراء والمعراج على أنه منهج الحياة ، وستمعنا الصورة حياً من الجريئات والتفاصيل ، فإلى نقف في ذلك على أرض صلبة وسير في الرسم على أساس من المروى .

التوبة

وتند قصة الإسراء والمعراج في بعض روايات سحري . وفي بعض روايات غيره شق الصدر ، من ذلك ما يرويه أحمد بنده عن أنس بن مالك قال :

كان أني بن كعب يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرح سقني ببي وأنا بمكة فمرل جبريل فصرح صدري ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء لطست من ذهب ممتلئ حكمة ويماناً فأفرعها في صدري ثم أطبقه »

هذا الحادث هو بالنسبة لنا التوبة ، فإن تطهير القلب الذي حدث برسول الله ﷺ ، عدة مرت في حياته إنما هو بالنسبة لأنواعه بمثابة التوبة . والواقع أن حياة المسلم في طريقه إلى الله ، إنما تبدأ بالتوبة ، وليس قبل التوبة من درجة نسفها ، والتوبة التي نتحدث عنها إنما هي التوبة الخاصة بالصوح ، فإن الله تعالى يقول

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صَوْحاً .) (١)

فأرشد سبحانه إلى أن التوبة المصونة إنما هي التوبة الصوح ، ولأجل أن تكون التوبة حائلة صوحاً فإنه لا بد من توفر شروط .

(١) سورة النجم : آية ٨

ويتحدث الإمام النووي عن شروطها في كتابه المبرك «رياض
الفالحين» فيقول :

لوبة واحدة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله
تعالى ، لا تتعلق بحق آدمي ، فلها ثلاثة شروط :
أحدها أن يقطع عن المعصية .
والثاني - أن يندم على فعلها .

والثالث - أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً

فإن فقد أحد الثلاثة فلا تصح التوبة

وإن كانت معصية تتعلق بآدمي بشروطها أربعة . هذه الثلاثة ،
وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كان
حد قذف أو نحوه مكنه منه ، أو طلب عموه ، وإن كانت غيبة استحلله
مها .

ولأن التوبة أول سلم في معراج السالكين إلى الله ، ولأنها واحدة من
كل ذنب ، ولأنها تحب^(١) ما قبلها ، ولأنها تضع الإنسان فور تحققة به
في مرتبة البراءة والطهارة والنقاء ، فإن لإسلام حث عليها كثيراً . يقول
الله تعالى آمراً بها .

(ووبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)^(٢) .

(١) أي نحوه وتزيله

(٢) سورة النور آية ٣١

وقد فتح الله بابه . حالصه بصوحا - على مصراعيه . فقام في أسلوب يسيل رحمة ورأفة :

(قل يا عبادي الذين أسرفو على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) (١)

إنه سبحانه يعفوها بالتوبة . لأنه سبحانه يقول بعد ذلك موحهاً المسلمين إلى الطريق

(وأنبأوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتموا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) (٢) .

ويتابع القرآن في التوجيه إلى التوبة في أسلوب كله رحمة ورأفة ما جاء في حديث قدسي طويل رائع ، يقول الله تعالى فيه :
« يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أعفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أعفر لكم » .

ويتابع ذلك كله الأحاديث النبوية :

« إن الله يمسح يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويمسح يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » .

ورسول الله ﷺ ، يعرف بالخطيئة كواقع لا يتأنى إنكاره فيقول

(١) سورة الزمر : آية ٥٣

(٢) سورة الزمر : الآيات ٥٤ و ٥٥

« كل ابن آدم خطاء »

ولكنه يرشد إلى الوسيلة التي تفضل بعض الخطائين وتعمل لهم مرة في الخير . فيقول :

« وخير الخطائين التوابون » .

يقول الإمام القشيري :

ومن لطائف المعراج ما حص به أول حاله في تلك الليلة بالطهارة على ما ذكرنا في بعض الروايات في تقدم : أن جبريل عليه السلام حمله إلى زمزم وشق صدره وعسل قلبه .

وقد شق قلب النبي ﷺ مرتين - مرة في حالة صباه ، وهو بعد في حجر حليمة ، والمرة الثانية ليلة المعراج .

وفي تخصيص قلبه بالعسل دون غيره من البدن إشارات . منها أن القلب محل العرفان ، وهو المصعة التي بصلاحها صلاح البدن .

وهو محل المشاهدة .

ولكى لا يكون لغير الحق نصيب في قلبه .

ولتنبيه الأمة على طهارة القلب .

وإذا كان شق الصدر الذي سبق هذا الحادث الخطير - حادث

الإسراء والمعراج - هو بالنسبة لنا التوبة ، فإنه أيضاً توجيه واضح لنا أن نلجأ إلى الله تعالى تائبين عند الشروع في أي عمل له فحته .

إنه توجيه لنا أن نلجأ إلى الله تائبين عند الشروع في شراء . وفي

بيع ، في ارتباط بروح ، في ساء بيت ، في الشروع في سفر
 وليست التوبة في مثل ذلك توبة من دس وإي هي التحاء في
 الله ، وتشفع إليه سبحانه بتأكيد صفاء النفس وطهارة القلب من أجل
 أن يسدد الخطى ويمحى لتوفيق ، ويحفظ من الأخطاء
 إنها توصل إلى الله بعمل صالح هو التوبة .

الغاية في منهج الحياة

ويمكن للإنسان أن يتعامل السؤال عن لعابة عقول .
 إذا كان بدء الرحلة الإسلامية إما هو التوبة فما هيها ؟
 ونقول دون تردد ولا شك :
 يس دون الله منتهى .
 وذلك أن الله سبحانه وتعالى هو العبة للمؤمن المتبصر
 ولقد أعس الله صراحة أنه سبحانه إليه انتهى فقال
 (وأن إلى ربك المنتهى) ^(١)
 ويقول أبو سعيد الخرار رضي الله عنه معبراً عن شعور المؤمن بالنسبة
 لله سبحانه .

(١) سورة العجم آية ٤٢

« كل ما فأت من الله سوى الله يسير ، وكل حظ لك سوى الله قليل » .

ب. هجرة المؤمن إليه سبحانه :

(إني ذاهب إلى ربي سيهدين) ^(١) .

وقرار المؤمن إلى الله . ولقد أمر الله بالفرار إليه فقال .

(هتروا إلى الله) ^(٢) .

ودهاب المؤمن إليه .

(إني ذاهب إلى ربي) .

وقد كانت هجرة الرحلة التي نحن بصددتها رحلة الإسراء والمعراج انتهى إلى الله سبحانه وتعالى . فهي رحلة انتهت إلى عايتها الحقيقية التي هي الله ، فحققت :
(وأن إلى ربك المنتهى)

وإنه إذا تحدثنا عن ثمرة السلوك إلى هذا المنتهى بمقدار قربنا من هذا المسعى نكون رعاة الله له وعديته .
على أن هذه الرعاية ، وهذه العناية تبدأ من الخطوة الأولى التي تتمثل في الاستعفاف

(١) سورة الصافات آية ٩٩ .

(٢) سورة الداريات ، آية ٥ .

والله سبحانه وتعالى يأمر بالاستغفار ، ويبين ما يترتب عليه من آثار
وهي آثار ليست باهينة ، أو التافهة ، إنها آثار ضخمة ، يقول سبحانه :
(استغفروا ربكم إنه كان عفواً . يرسل السماء عليكم مدراراً .
ويزدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً)^(١) .
ويقول سبحانه :

(استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم
قوة إلى قوتكم)^(٢) .

وكما ازداد الإنسان استمراً في السلوك إلى الله ، ازدادت رعاية الله
له وعنايته به ، حتى إذا ما انتهى إليه سبحانه كانت العناية المناسبة ،
والرعاية الكافية ، في الدنيا والآخرة :

(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا
وكانوا يتقون . لهم البشري والحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات
الله ، ذلك هو الفوز العظيم)^(٣) .

وليس معنى الوصول إلى هذا المنتهى وهو الله سبحانه - الاستقرار
الروحي ، كلاً ، وإنما معناه من جانب ، روال القنق والاضطراب
النفسى . وروال هم الرزق ، وحرف الموت ، وروال كل ما يصرف

(١) سورة نوح الآيات ١٠ - ١٢

(٢) سورة هود آية ٥٢

(٣) سورة يونس الآيات ٦٢ - ٦٤

الإنسان عن الله ، أو يشعل بؤرة التفكير ، ويحل في أعماق النفس .
ولكن الوصول إلى هذا المنهى معناه من جانب آخر = الرقى
الروحي الدائم ، الصبوحات الإلهية المستمرة ، المعرفة اللدنية المتتالية ،
وصلوات الله وسلامه على من وصل إلى هذا المنهى ومر مع ذلك أن
يقول :

(رب زدني علما)^(١) .

وزيادة العلم في عرف أولياء الله ، إنما هي زيادة السعادة ، ومن
أجل ذلك يقول أحد العارفين :

نحن في سعادة لو عرفها الملوك لخالدونا عليها بسيوفهم .

وتتلون السعادة بلون المعرفة ، ولكل باب من أبواب المعرفة مذاق
خاص ، فله إذن لذة خاصة = إذا أمكن التعبير بكلمة اللذة في هذا
المقام - وهو يسلم إلى ما يليه ، وما يليه له مذاقه الخاص فله أيضاً لذته ،
إنها جنة الدنيا في سموها وحماها وجلالها .

ولا يحجب أولياء الله عن الله مال . وقد يكوون في ثراء عريض
فلا يصرفهم ذلك عن الله ، وما صرف سليمان ملكه عن الله ، وقد
يعرض عليهم الثراء العريض فلا يعيرونه أهمية
ولقد قال رسول الله ﷺ :

(١) سورة طه آية ١١٤ .

« حيرت بين أن تكون ملكاً رسولاً - أو عبداً رسولاً ، فاحترت أن
أكون عبداً رسولاً » .

ويتحدث الإمام أبو سعيد الخزاز عن ذلك بالنسبة إلى رسول الله
ﷺ فيقول :

وهذا لبي ﷺ :

يها جبريل عليه السلام عبده ، يد تعير حبري ، فإذا منك قد برى
من السماء لم ينزل قط .

فقال جبريل عليه السلام : خشيت أنه نزل في أمر .

فجاءني أسى ﷺ بإسلام من عبد الله عز وجل وقد نه
هذه مفاتيح حرائر لأرض تسير معك دهاً وقصة مع لقاء فيها إلى
يوم القيامة ولا تنفصلك مما لك عند الله شيئاً

فلم يحمر النبي ﷺ ذلك . وقال :

« أجوع مرة وشبع مرة » .

ولا يحب أولياء الله عز الله لدة حسه فهم في دمه دائمه مستمرة
أسى وأفس

بهم لا يحجبهم عنه متاع دنيوي أبداً . فاستشار قلوبهم بقرتها إلى
الله تعالى . وسورها به . وهدوئها في سكوتها إليه ومنها معه

ما بين البدء والغاية

الجهاد

كيف الوصول إلى هذا المسمى الذى فيه لرصد ، و هو رصدة
الأنوار ، وتلاحقها على الدوام ، وفيه إسعاده التى لا تنقطع ، وفيه
مرصاة الله سبحانه وتعالى ، وحفظه وعمايته ، ورعايته ومحبته ؟

هذا ما ترسمه الرحمة المدركة هما بين شق لصدر أو التوبة وبين
(ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى)^(١)

وعمد أن تبدى الرحمة المباركة ، يرى رسول الله ﷺ أمراً عجيباً
إنه يرى يوماً يررعون ويحصدون في يوم كمل حصدوا عاد كما كان .

فقال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام ما هذا ؟

قال : « هؤلاء ، لمحاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة إلى
سبعائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير برارفين » .

وتنقلنا هذه الرؤية من التوبة مباشرة إلى الجهاد .

وهذا انتداب طبيعي ، فإنه إذا كانت التوبة حقاً حاصلة بصوحاً

استتبع لا محالة الجهاد

ولاجتماع في الدين الإسلامى مكانة عظمى . فقد روى الشيخان

(١) سورة الجم ، الآية ٨ و ٩ .

يسندهما عن أبي ذر رضى الله عنه قال :
قلت يا رسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟
قال : « الإيمان بالله والجهاد فى سبيله » .
والجهاد فى سبيل الله أوسع وأعم من أن يقتصر على الجهاد الحربى
إن من أنواع الجهاد فى سبيل الله ، جهاد النفس حتى تستقيم على
التوبة ، وجهادها على العموم حتى تتزكى من بعد التوبة .
(قد أفلح من زكاها) (١) .
(ومن تزكى فإنما يتركى لنفسه) (٢) .
وجهاد الأسرة حتى تستقيم على أمر الله .
والله سبحانه وتعالى يقول :
(يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس
والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون) (٣) .
وكان سيدنا إسماعيل عليه السلام يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان
عند ربه مرصياً .

ولا يعنى جهاد النفس وجهاد الأسرة عن جهاد المجتمع

(١) سورة الشمس آية ٩ .

(٢) سورة فاطر : من الآية ١٨ .

(٣) سورة التحريم آية ٦ .

وكل ذلك أنواع متنسقة من ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن
المعكر .

وهو مبدأ أسس في الدين الإسلامي ، ولأجل أن يبين الله سبحانه
وتعالى أهميته الكبرى ، ذكره قبل الإيمان بالله ، مبيناً أنه مناط خيرية
الامة الإسلامية فقال سبحانه :

(كمْ خَيْرَ أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله) .

وعلى العكس من ذلك اليهود فقد :

(لن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان دود وعيسى من مريم
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لنس
ما كانوا يفعلون) .

ولقد بين الإسلام وسائل الجهاد بحسب الظروف والملابسات ،
وبحسب الإمكانيات والاحتمالات .

عن أبي مسعود رضي الله عنه - فيما رواه الإمام مسلم أن رسول
الله ﷺ قال :

« من بي بعث الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون
وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » .

ثم إنها تحلف من بعدهم لحلف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون
ما لا يؤمرون .

من جاهدكم بيده فهو مؤمن ،
 ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ،
 ومن جاهدكم بنفسه فهو مؤمن . ليس وراء ذلك من الإيمان حبة
 حردل .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال :
 سمعت رسول الله ﷺ يقول :
 « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم
 يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »

وصور رسول الله ﷺ المجتمع ووجوب الأحد على يد المقسد فيه
 حتى لا يكون الهلاك ، بالصورة الرائعة التوبة التي رواها لإمام البحري
 عن السمان بن بشير عن رسول الله ، ﷺ ، قال :
 « مثل القائم في حدود الله ، وانواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على
 سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في
 أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في
 نصيبنا خرقاً ، ولم نؤد من فوق ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا
 جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا وبجوا جميعاً » .

وروى الترمذي عن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :
 « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن
 الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ ، قال .

« أفصل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » .

وأن الله سبحانه وتعالى لا يخلى الأرض من الآمرين بالمعروف والنهي

عن المنكر ، فقد جاء في الصحيحين :

« لا تزال طائفة من أمتي طاهرين على الحق لا يضرهم من حطم

ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم كذلك » .

أما الجهاد فيكي - لبيان أنه من طبيعة لإسلام أن يذكر فيه

حديثين أو ثلاثة ، وأن يذكر فيه آيتين من القرآن أو ثلاثاً

وببدأ في ذلك بما رواه الإمام مسلم .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ .

« من مات ولم يعز ولم يحدث بمسئله بعرر مات على شعبة من

النفاق » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه في رواه ليرمى قال

« من رحل من أصحاب رسول الله ﷺ ، بشعب فيه عسة من

ماء عذبة فأصحبته فقال :

« لو اعتزبت لناس فألفت في هذا الشعب ، ولم أفعل حتى أستاذن

رسول الله ﷺ . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، بشعب فيه عسة من

فقال - لا تفعل فإن مقدم أحدكم في سبيل الله أفصل من صلاته في

بسته سبعين عاماً . ألا تحبون أن يعمر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟

اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ذقة ، وجبت له الجنة .

وروى أبو داود بإسناد جيد ، عن أبي أمامة رضى الله عنه :
« أن رجلا قال يا رسول الله ثدني في السياحة ، فقال النبي ﷺ :
« إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل » .
والقرآن يربط الجهاد بالإيمان بحيث لا يتأتى أن يوجد الإيمان
الصديق إلا والجهاد من عناصره لقد اشترى الله في عقد الإيمان -
من المؤمنين أنفسهم وأموالهم :

(يا أيها الذين آمنوا من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن هم اجتهدوا ، يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل
والقرآن ، ومن وفى وعده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بيعتم به
وذلك هو الفوز العظيم) .

والجهاد بجارة مع الله :

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على بجارة تجيكم من عذاب أليم ؟
تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم
خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الأنهار ومسكن مظللة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) .
والجهاد داخل في صدق الإيمان .

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ لِلَّهِ آفِكُونَ بِأَلْفِ رُسُلِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) .
إن الجهاد بأوسع معانيه إنما هو الخطوة الأولى بعد التوبة .

حياة الأنبياء والشهداء بعد الموت

إن الصلاة في ترتيب رحلة المباركة يأتي رمزها بعد رمز الجهاد مباشرة ، ولكنا مراعاة لما بين هذا الموضوع وما قبله بذكره هنا ثم نعود للترتيب الطبيعي في الرحلة المباركة .

روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أتيت في روية هدايا : مررت - على موسى ليلة أسرى في غدير الكنيت الأحمر وهو قائم يصلي في قبره «
وأخرج الإمام مسلم أيضا بعدة طرق عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : مررت على موسى وهو يصلي في قبره « .

وقد أخرج الإمام مسلم في الصحيح من حديث عبد العزيز ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :
« ... وقد ريتني في جماعة من الأنبياء » .

فإذا موسى قائم يصلي ، فإذا رحل صرب ^(١) جعد كأنه من رجل
شوة ^(٢) ، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي ، أقرب لئس به شها عروة
ابن مسعود الثقفي .

وإذا إبراهيم قائم يصلي ، أشبه لئس به صاحبكم يعني نفسه
وحانت الصلاة ، فأممهم . .

وقد وردت السنة الصحيحة بأن أحسام الأنبياء لا تأكلها
الأرض ، أي أنها لا تلي . فقد أخرج الإمام أحمد بإساده عن أوس
بن أوس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
(أفصل بكم يوم الجمعة . فيه خلق آدم . وفيه قصص . وفيه
المنحة وفيه الصعقة . فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم
معروضة على . قلوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أمت -
يريدون بليت فقال يا الله حرم على الأرض أحساد الأنبياء
عليهم السلام .)

هذا الحديث أخرجه أيضاً الحاكم وصححه ليوى ويقون النجاشي
عنه أخرجه أبو داود لسجستاني في كتاب السنن وشواهد
ثم يروى - من هذه الشواهد - بإساده عن أبي مسعود
لأنصارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

(١) الصرب من الرخا وهو الخصف اللحم

(٢) شوة : قبيحة من نائل العرب

« أكثرُوا من لصلاة عليّ في يوم الجمعة ، فإنه ليس أحد يصلي عليّ يوم الجمعة إلا عرّصت عليّ صلاته » .

وروى البيهقي من هذه الشواهد أيضاً - بإساده عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« أكثرُوا عنيّ من الصلاة في كل يوم جمعة ، فإن صلاة أُمّي تعرض عليّ في كل يوم جمعة ، من كان أكثرهم عليّ صلاة ، كان أقربهم مني منزلة » .

وسواء كان الإنسان نحوار الضريح الشريف أم كان بعيداً عنه فإن صلاته تنبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان ، والأصبهاني في التزيين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« من صلى عنيّ عند قبري سمعته ومن صلى عنيّ دُنياً بلغت »

ومن هذا القبيل ما أخرجه الإمام البخاري في تاريخه عن عمار قال :

سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

« إن لله تعالى ملكاً أعطاه اسماع الحلائق ، قائم على قبري ، فما من

أحد يصلي عنيّ صلاة إلا بلغت »

ونقد أثبت الإمام القشيري حياة الأنبياء بعدة طرق ، وأورد

أحاديث في ذلك ، يذكر منها حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن لله ملائكة سياحين في الأرض يلعبون عن أمني السلام »
ويقول الإمام القشيري تعليقاً على هذا الحديث : ولا يبلغ السلام
إلا ويكون حياً .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه فيما رواه ابن ماجة بإسناد جيد -

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« أكثرُوا من الصلاة على يوم الجمعة . فيه مشهود تشهد
الملائكة ، وإن أحداً لم يصي على إلا عرّضت على صلاته حتى يفرغ
مها » .

قال أبو الدرداء ، قلت . وبعد موت ؟ قال إن الله حرم على
الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء عليهم لصلاة والسلام .

ب الأنبياء أحياء في قبورهم بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لموسى عليه السلام ، وبرؤيته للأنبياء ، وحديثهم معهم ، وصلاتهم بهم .

أما الصلاة التي كانوا يصلونها ، فإنها لم تكن فرضاً وتكليفاً ، وإنما
كانت شكراً وحمداً لله على نعمه ، وليس في الآخرة تكليف ، وإن كان
فيها أيضاً ترق روحى لا ينهى ، لأن المدد الإلهى لا ينهى ولكل درجة
من درجات هذا المدد شعور بالحمد والثناء على الله والشكر لله ، يتناسب
مع درجته ، والله سبحانه وتعالى يقول :

(دعواهم فيها سبحانه اللهم ، وتحيمهم فيها سلام . وأحر دعواهم
أن الحمد لله رب العالمين) .

وقد يتساءل إنسان عن هذه الحياة بعد موت . أهي خاصة بالأنبياء ؟ .

ويقول إن القرآن الكريم يشتمل في يقين حازم للشهداء ، يقول تعالى :

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

ومعاصرة هذه الآية روى الترمذي وحسنه ، وابن ماجة بإسناد حسن أيضاً ، والحاكم وقل صحيح الإسناد . إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لما رأى جابر بن عبد الله مهتماً لاستشهاد أبيه في عروة أحد ، قال له مطمئناً مبشراً : ألا تحبرك ما قاله الله لأبيك ؟

فقال جابر بلى ؛ قال صلى الله عليه وآله وسلم :
« ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وإني كلم أباك كما حاءه .
والكفاح . المواجهة قال : سبي أعطك قال أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ذبيحة . فقال الرب عز وجل : إنه قد سبقني القول :
« بأنهم إليها لا يرجعون » قال : أي رب فأبغ من ورائي ، أي أبغهم هذه النعمة الكبرى في الجنة التي يتقلب فيها الشهيد ، فأمر الله تعالى :
(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

وقال تعالى :

(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون)

ويقول الإمام القشيري « فأحرر سبحانه أن الشهداء أحياء عند ربهم ، فالأساء أرى بذلك لتقصر رتبة الكفاة عن درجة السوة » .
قال الله تعالى :

(وأوثق مع الدين نعم الله عليهم من السيئين والصديقين
والشهداء)

ورتبة الشهادة ثالث درجة النوة ، ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بما يدل على هذه الحملة .

ومما سه الآيات القرآنية الشريفة عن الشهداء يقول ابن القيم : إن الله تعالى عرى نبيه وأوليائه من قتل منهم في سبيله أحسن تعزية وأعطاهم وأدعاهم إلى الرضا بما قضاه لهم بقوله « ولا تحسبن » الآيات فجمع هم إلى الحياة الدائمة ، منزلة القرب منه ، وأنهم أحياء عنده ، وجريان الرزق مستمر عليهم ، وفرحهم بما آتاهم من فضله ، وهو فوق الرضا ، بل هو كمال الرضا ، واستبشارهم بأخواتهم الذين باحتماءهم بهم يتم سرورهم وبعيبتهم ، واستبشارهم بما يجد لهم كل وقت من نعمته وكرامته »

ولقد أخرج أحمد وعبد بن حميد في مسنديهما ، والطبراني في مسند

حسن عن محمود بن لبيد عن ابن عباس مرفوعاً « الشهداء على دارق
سربيات اخنة في قبة خضراء يجرح إليهم رزقهم من الجنة غدوة
وعشية » .

وفي حياة الأنبياء والشهداء يقول القرطبي :

« الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقل من حال إلى حال ،
ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يردقون فرحين
مستشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان هذا في الشهداء
هالأنبياء أحق بذلك وأولى . وقد صح أن لأرض لا تأكل أجساد
الأنبياء . وأنه صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في
بيت المقدس ، وفي السماء ، ورأى موسى عليه السلام قائماً يصلي في
عيره ، وأخبره بأنه يرد السلام على كل من سلم عليه ، إلى غير ذلك مما
يحصل من جملة القطع ، بأن موت الأنبياء إنما هو راحع إلى أنهم عيوا
عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحول في
الملائكة فيهم موجودون ولا يرههم أحد من نوعا إلا من حصه الله
بكرامته من أوليائه » .

والفقهاء يتحدثون عن لشهداء في استفاضة ، وما أثاروه بهذه
المسألة ، مسألة سؤال القبر بالسنة لشهد . ولقد أفتى الإمام السيوطي
بأن سؤال القبر ليس عملاً للحلق بل يستثنى منه لشهد ، هي
الحديث :

«نه صلى الله عليه وآله وسلم مثل : يعنى الشهيد في قبره ؟ فقال
كنى ببارقة السيوف على رأسه فتة» .

قال القرطبي في التذكرة نقلاً عن الحكيم الرمدي : معناه أنه لو
كان عنده نفاق فر عند التقاء الرحفين وبريق السيوف ، لأن من شأن
المناقب القرار عند ذلك ، وشأن المؤمنين البذل والتسليم لله ، فما ظهر
صديق صميمه حيث رز بلحرب والقتل لم يعد عليه السؤال في القبر
الموضوع لامتحان المسلم الخالص من النفاق .

وقال القرطبي وإذا كان الشهيد لا يعنى فالصديق من باب أولى لأنه
أحلّ قدراً ، وممن يستثنى المرباط فقد ورد فيه أحاديث ، وانقطعوا ،
والصامري بدن الطعن محتسباً حتى مات بغير الطاعون صرح به الحافظ
بن حجر في كتاب « بدن الماعون » .

وبعد هذه الحياة لبررحية يست للأسياء والشهداء فحسب ، وإنما
هي لجميع الناس حتى الكفار منهم ، على أن القرآن وانسة يشيران إلى
حياة الكفار بعد الموت قبل القيامة ، يقول تعالى عن آل فرعون .
(البار يعرضون عليها غدواً وعشياً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا
آل فرعون أشد العذاب)

ولا ريب في أن النار التي يعرضون عليها ليست نار يوم القيامة .
فما في القيامة غدو وعشياً ، وما فيها شروق وغروب . ثم إن المعطف يقتضى
المعايرة ، ومنطوق الآية : إن آل فرعون يعرضون على النار في الصباح

وفي المساء ، يرون مكانهم فيها ومصبرهم الذي سبصبيرون إليه ، حتى إذا كان يوم القيامة ، دى مناد آمراً : « أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » ، أدخلوهم بعد أن كانوا يعرضون غدوا وعشيا ، أدخلوهم إلى إقامة مستمرة .

على أن حادثة أصحاب لقلب معروفة مشهورة ، رواها الإمام البخارى بعدة روايات ورواها غيره بعدة روايات أيضاً . من هذه الروايات الرواية الآتية عن البخارى . حدثنا عبد الله بن محمد ، سمع روح بن عباد ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قال : ذكر لنا أس بن مالك ، عن أبي طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقدموا في طوى من أطواء بدر حيث غثت ، وكان إذا طهر عى قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان بيدر ليوم الثالث أمر يراحلة فشد عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقائروا : ما يرى ينطلق إلا لعص حاحته ، حتى قام على شعة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟

فقال عمر . يا رسول الله أنكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

« والذى نفس محمد بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

هذه الروايات كلها تتكاتف وتتساند . مع الأحاديث التي رويت في عذاب القبر ، وبعيمه ، ونقي نحر أب لقبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار . فتدل مجموعها على أن كل نفس إذا فارقت الدنيا ، فيما انتقل من طور إلى طور . وأنه إذا كان الجسم سيلى فإن الروح - مركز الشعور والإحساس والمكر - بقية نحس وشعر وتفكر وعن المؤمنين عامة يحسن أن نورد القصة التالية .

أخرج البيهقي في البعث ، والطبري في مسند حسن . عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال : « لما حضرت كعباً الوفاة أتته أم بشرت البراءة . فقالت يا أبا عبد الرحمن ، إن نقيت شرّاً فأقرئه مني السلام ، فقال لها يعمر الله لك يا أم بشر . نحن أشعل من ذلك . فقالت أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن سمة المؤمن سرح في الجنة حيث شاءت . وسمة الكافر في سجين ؟ قال . بلى ، قالت فهو ذلك » .

أما الحديث الذي صححه أبو محمد عبد الحق . فهو ما رواه ابن عبد البر في الاستدكار و لمهيد من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كما يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام »

ونعل السؤال المسح فيما نحن بصددده هو

ما نوع هذه الحدة التي سماها الأنبياء والشهداء ، وغيرهم ؟
 ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال نورد ما ذكره ابن القيم في
 الصمد في كتابه النقيس « الروح » .

« إن لله سبحانه وتعالى جعل لدور ثلاثة دار لسيا . ودار
 البرزخ ، ودار القرار ، وجعل لكل دار أحكاماً تخصها ، وركب هذا
 الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان ،
 والأرواح تبع لها ، ولهذا جعل أحكامه شرعية مرنة على ما يظهر من
 حركات البدن والحوارج ، وإن أصمرت النفوس خلافه ، وجعل
 أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها ، فكما تبعت الأرواح
 لأبدان في أحكام الدنيا ، فتأملت بألمها ، والتفت براحتها ، وكانت هي
 التي تشارت أسباب النعيم والعذاب - تبعت لأبدان الأرواح في أحكام
 دار البرزخ في نعيمها وعذابها ، والأرواح حينئذ هي التي تشار العذاب
 ولنعيم ، فالأبدان ^(١) ظاهرة والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور لها ،
 والأرواح هناك ^(٢) ظاهرة والأبدان خفية في قبورها ، فتجري أحكام
 برزخ على الأرواح ، فتسرى إلى أبدانها نعيماً وعذاباً ، كما تجرى
 أحكام الدنيا على الأبدان ، فتسرى إلى أرواحها نعيماً وعذاباً ، فأحط
 بهذا الموضوع علماً واعرفه كما سعى ، بل عكس كإشكال يورد عليك

(١) في دار الدنيا

(٢) في دار البرزخ

من داخل وخارج . وقد أَرَانَا الله سبحانه ، بظلمه ورحمته وهدايته من ذلك نموذجاً في الدين من حال إنائم ، فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه . يحرق على روحه أصلاً ، والبدن تبع له * وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً ، فيرى النائم أنه في نومه ضرب ، فيصبح وآثار الصرب في جسمه ، ويرى أنه قد أكل وشرب ، فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشرب في فيه ، وينهب عنه الجوع والظمأ ، وأعجب من ذلك أنك ترى النائم ، يقوم من نومه ، وبصرب ويبطش ويدفع كأنه يقطن ، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك . لأن الحكم لما جرى على الروح ، استعانت بآبدن من خارجه ، وبو دخلت فيه لاستيقظ وحس . فإذا كانت الروح تتألم وتنعم ، ويصل ذلك إلى بدن بطريق الاستماع ، فهكذا في البرح ، بل أعظم . فإن تجرد الروح هناك أكمل وأقوى ، وهي متعمقة ببدن لم تنقطع عنه كل الانقطاع ، فإذا كان يوم حشر الأجساد ، وقيم الناس من قبورهم صار الحكم بالنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد طاهراً بدياً ، ومتى أعطيت هذا الوضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه ، وضيقه وسعته وضعه وكونه حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل ، وأنه حق لا مرية فيه ، وأن من أشكر عليه ذلك لمن سوء فهمه . . . وقلة علمه . . .

أما بعد . فإننا نعلم هذا البحث بكلمة يقولها حجة الإسلام الإمام

الغزالي ، عن تجربة شخصية يؤيد ما هو واضح من بدهيات الحو
الإسلامي في هذا الموضوع ، وهي كلمة تعبر عن رأى جميع الصوفية
وجميع فلاسفة الإشراق :

وومن أول الطريق تبتدئ المكاشفات والمشاهدات ، حتى إنهم في
يقظهم بشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتا
ويقتبسون منهم فوائده .

ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يصيق عنها
نطاق النطق .

الصلاة

أتى رسول الله ﷺ ، على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر وكلما
رضخت عادت كما كانت . لا يفتر عنهم من ذلك شيء .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين تتأفل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

... أتى دور الفروض الدينية ، وبدأت هذه الفروض بالصلاة

والصلاة هي الركن الثاني في الإسلام ، إن منزلتها ومرة

ما عداها . بما يأتي بعد الإيمان بالله وبرسوله .

أتى دور الفروض الدينية ، وإن لم تكن قد فرضت بعد : ذلك أن

الرحمة المباركة ترسم الماضي والحاضر والمستقبل ، إنها ترسم الحياة

الإسلامية ، في جميع أدوارها الرمنية ، في جانب العقيدة والأخلاق منها
والصلاة في الوضع الإسلامي عماد الدين من أقامها فقد أقام
الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، مثلها في حياة المسم كمثل نهر
جار عمر^(١) على باب أحدكم على حد تعبير رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم - يقتل منه كل يوم خمس مرات .
وعن عبد الله بن قريظ رضى الله عنه قال قال رسول الله ،

ﷺ

« أول ما يحسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صدحت صلح
سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله »^(٢) .

وعن من عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور به ، ولا دين لمن
لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من
الجسد »^(٣) .

وستحدث إن شاء الله عن الصلاة فيما بعد فبين أهيتها الكبرى في
الوضع الإسلامي ، ونكاح أن نخرج إلى الزكاة نقول : إن الرسول
ﷺ رأى يوماً هما يراه الناس تمثيلاً لتارك الصلاة يشبه تمثيل الذي

(١) العمر هو الكثير الله

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ، وقال: لا بأس بإسناده إن شاء الله

(٣) رواه الطبراني في الأوسط والصغير وقال: تفرد به الحسن بن الحكم الخيري .

يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«بطلقت حررت على ملك وأمامه آدمي ، وبيد الملك صخرة
نصرت بها هامة الآدمي ، فقع دماغه حاناً ، وتقع انصخرة حاناً .
ولما سأل عليه السلام عن ذلك ، قيل له :

«أولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ، ويصنعون
لصلاة لغير مواقيتها فهم يعدبون بها حتى يصيروا إلى النار»
وقبل أن نفرغ إلى الزكاة أيضاً نذكر ما يلي :

يقول لإمام الفشيري :

سمعت الأستاذ أبا علي البدقيق رضي الله عنه يقول
إن بيننا عليه السلام أتى للأئمة بالمعراج على التحقيق ، فإن الصلاة
لنا بمحلة المعراج

وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل ، من حرم إلى مسجد
الأقصى ، ثم من المسجد الأقصى إلى سدة المنتهى ، ثم منها إلى قاب
قوسين أو ثلثي .

هكذا لنا الصلاة ثلاث منازل القيم ، ثم الركوع ، ثم
السجود ، وهو نهاية القربة .

قال الله تعالى :

(واسجد واقترب)^(١)

(١) سورة العلق آية ١٩

الزكاة

وتأتى الركعة بعد الصلاة في ترتيب مهبج الحياة الذى نحن بصددده .
لقد أتى رسول الله ﷺ على قوم على قيامهم رفاع ، وعلى
أدبارهم رفاع ، يسرحون كما سرح الأنعام ، يأكلون الصريع ،
والرقوم ، ورضف جهنم .
فقال : ما هؤلاء ؟

فقال حبريل عليه السلام هؤلاء الدين لا يؤدون زكاة أموالهم
وما ظلمهم الله ، وما ربك بظلام للعبيد .
والزكاة هى الركن الثالث من أركان الإسلام ، وقد حارب عليها
سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، وذلك أنه حينما تنقل الرسول ﷺ إلى
الرفيق الأعلى ، قال بعض القبائل من الأعراب :
إنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وسستمر تؤدى
الصلاة ، ونصوم رمضان ، ونحج ، أما الزكاة فإنها مادة ومال ولا شأن
لدينا بذلك وأعلنوا الامتناع عن أدائها .

وكان هذا أول تفكير منحرف من بعض المسلمين في الإسلام
يهدف إلى فصل الدين عن الدنيا أو المادة ، أو بالتعبير الحديث يهدف
إلى فصل الدين عن الدولة ، فقال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه :
سأحاربكم .

إيه يحارب من أراد فصل الدين عن الدولة . فقيل له : كيف
تحارب من يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؟
فكانت إجابته :

أن الشهادتين هما حقوق إذا متع إنسان عن أدائها فإنه يحارب
عليها .

وأن من حقوق الشهادتين أداء الزكاة .
روى الإمام البخاري رضى الله عنه عن أبي هريرة بضر الله وجهه
قال :

« لما تولى رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكر رضى الله عنه ، وكهر من
كفر من العرب - سبب عدم إخراجهم للزكاة . ومتاعهم عن
تأديتها . فقال عمر ، رضى الله عنه : كيف نقاتل الناس ، وقد قال
رسول الله ﷺ :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد
عصم مني ماله ونفسه وحسابه على الله »

فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق
المال ، والله لو معونى عساقاً ^(١) كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ
لقاتلتهم على منعها .

قال عمر رضى الله عنه « فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر

(١) أى شاة صلبة . ورواية أخرى (عقالاً) والمقصود أى شيء ولو كان يسيراً

أبي بكر رضى الله عنه. فعرفت أنه الحق .

من هذا الحديث الشريف نعلم أن مانع الركعة بهذا الوضع ، وعلى هذه الصورة كافر ، وأنه يجازى حتى يؤذيها وإلا قتل . وقد حارب سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ما معنى البركة ، لأنه رأى أن الامتناع عن الركعة إيكاراً - يردد عن الإسلام ، ولم يفهمهم - فلما رأى سيدنا أبو بكر ، وفيما رأى الصحابة معه صلاة أو صام ، أو غير ذلك من الشعائر الإسلامية ، ذلك أن الركعة ركن من أركان الإسلام ، والامتناع عن أدائها ، إنما هو هدم بركن من أركان الدين .

إنها الركن الثالث ، يدفعها من تحب عليه لمستحقها . « ليحيى بها هوساً ، ويشع بها بطوناً ، ويمسح بها دموعاً ، ويربل بها آلاماً ، وينال بها ثواباً وأجرأ من الله تعالى » .

وما من شك في أن الركعة رابطة بين الإنسان وربه ، إنها رابطة رضون من الله وأجر وثواب ، ونماء وبركة .

ورابطة شكر من الإنسان لله تعالى ، على ما أنعم به وتفضل وأحسن وأكرم .

وهي من ناحية أخرى رابطة بين الإنسان وأفراد المجتمع الذى يعيش فيه .

رابطة مودة وتعاطف وتراحم .

وفد أندر الله تعالى امتنع عن أدائها وتوعده بقذاب أنيم .
 أما الذي يؤذيها فقد ذكره الله سبحانه وتعالى ، فيمن رضي الله
 عنهم ، وأجزله لهم ثوبه ، يقول سبحانه :
 (فأندركم برأ تطلى لا يصلاحها إلا الأشتى . الذي كذب وتولى
 وسيجبه الأتقى . الذي يؤتى ماله يتركي وما لأحد عنده من نعمة
 تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى)^(١)
 ويقول سبحانه

(ولا يحسن لذين يبحلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل
 هو شر لهم سيطرقون ما يحلو به يوم القيامة والله ميراث السموات
 والأرض والله بما تعملون خبير)^(٢) .

الصدقة

ويجوز الزكاة يحسن الحديث عن الصدقة وسواء كما بصدد الزكاة ،
 أو بصدد الصدقة فإن الله سبحانه وتعالى يقول :
 (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع
 سنابل في كل صبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع
 عليم)^(٣)

(١) سورة اللين . الآيات ١٤ - ٢١ (٣) سورة البقرة . آية ٢٦١

(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٠

ويقول سبحانه :

(فأما من أعطى واتى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من نخل واستغنى وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله إذا تردى) (١) .

ويقول سبحانه :

(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .
لقد رأى رسول الله ﷺ ، صورة الممتنعين على الزكاة ورأى أيضاً - فيما يراه النائم - صورة آكلى الربا ، ورأينا أن نتحدث عن الربا ، بعد الحديث عن الزكاة والصدقة مباشرة لما يسبها من فرق ، هو الفرق بين الخير والشر .

الربا

لقد رأى رسول الله ﷺ : سراً من الدم يفور كغوران المراحل ، وعلى حائتى أنهر ملائكة بأيديهم نار ، كلما طلع طالع قذفوه بها فتقع فى فيه فيشتعل إلى أسفل ذلك النهر . فلما سأل رسول الله ﷺ عنهم قيل له . أولئك الذين أكلوا الربا ، فهم يمدبون بها ، حتى يصيروا إلى النار .

أما فى رحمة الإسراء والمعراج فإنه ﷺ مر بقوم بطونهم أمثال

(١) سورة الليل الآيات ٥ - ١١ .

البيوت ، كلما نهض أحدهم خر على لأرض ، فلما سأل عنهم جبريل ، قال : هم أكلة الربا .

وللصورة الشعة لربا آذن الله سبحانه المتعامدين به بالحرب ، لقد آذن الله بالحرب صنفين من الناس :

١ - أكلة الربا

٢ - المعادون لأولياء الله .

أعلن الحرب على أكلة الربا في القرآن الكريم :
(فآذنوا بحرب من الله ورسوله) (١) .

وأعلن الحرب على من عادى الأولياء ، في الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري :

« من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » .

ورمر المراتي في ليلة الإسراء ، رحل يسبح في بحر من الدم ، ويلقي في ه قطع من النار يبتلعها إبه يسبح في السماء التي امتصها بمن تعامل معهم وما أخذ من قطع القود تلتهم ناراً تصير في جوفه تحترق وتشتعل فيها .

ولا ريب أن الصرف لمعارض لمصدقة ولزكاة ، الطرف الذي يبعثه الله ، ويغض المتعامدين به ، هو الربا .

ولقد حارب الإسلام اربا حرباً لا هوادة فيها ، حاربه لأنه مبدأ

(١) سورة العنقرة ٠ آية ٢٧٩ .

ليس بإنسانى ، واستعمل فى محاربه من انتعير أنفسه
لقد حارب فى حملته وتفصيله ، يقول الله تعالى :
(الذين يأكلون الربا ، لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه
الشيطان من لمس)^(١) .

والمتعاملون بالربا :
(أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .
والله سبحانه وتعالى يقول :
(يحق الله لربنا ويرى الصدقات ، والله لا يحب كل كمار
أثم)^(٢) .

ولكنه سبحانه وتعالى يفتح لمتعاصين بالربا أبواب نوبته .
يقول تعالى :
(يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله وادروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ،
فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رهوس أموالكم
لا تظلمون ولا تظلمون)^(٣) .

وبما لا شك فيه أن الربا - على أية صورة من صورته - يتعارض مع
لروح الدينية العامة التى هى الرحمة والتعاون

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٦

(٣) سورة البقرة : الآيات ٢٧٨ و ٢٧٩

وذكر في نهاية الحديث عن الصدقة والربا والزكاة
(وأنفقوا في سبيل الله . ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأنفقوا
إن الله يحب المحسنين)^(١) .

وفي هذه الآية الكريمه يشير الله سبحانه إلى أن الشح والبخل وعدم
الإيفاء في سبيل الله إنما هو إلقاء للنفس إلى التهلكة .
ويقول سبحانه

(آموا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا
مكم وأنفقوا هم أحر كبر)^(٢)

وفي هذه الآية الكرمة يرشد الله سبحانه وتعالى إلى أن أصحاب
الأموال قد استخلفهم الله سبحانه وتعالى في ما هو ، وأنهم مجرد
مستخلفين . وهذا يسير إلى أنهم إذا أساءوا فإنه يرفع استخلافهم عن
المال فيصبحوا ولا مال لهم

ويقول سبحانه

(من ذا الذي يقرض الله قرصاً حساً مضاعفه له ، وله أجر
كريم)^(٣) .

إنه سبحانه وتعالى مضاعفه له في الحياة الدنيا .

(١) سورة البقرة آية ١٩٥

(٢) سورة الحديد ٢٧

(٣) سورة الحديد ١١

ثم يحزل له الأجر :

(يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم
بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز
العظيم) (١) .

الثبات على العقيدة

نقلت هذه لرحلة الماركة من التوبة إلى الجهاد مباشرة ، ثم كانت
الصلاة والركاة ممثليْن لبقّة فروض العبادة .

وقد تحدثت الرحلة عن أنواع من الآثام باعتبارها ممثلة لما عداها وأن
الله سبحانه يحاسب عبداً وعلى غيرها من المعاصي إذا لم يدر الإنسان
بالتوبة الخالصة انصوح .

وقبل أن يبدأ في ذكر هذه الآثام نتحدث عن قوة الإيمان وثبات
المؤمنين ، والتمسك بالعقيدة ، حتى ولو أدى ذلك إلى الموت على أية
كيفية

إن لشهداء من أجل عقيدتهم لهم راتحة ركية تستمر حتى يوم
القيامة ، وإن الراتحة الزكية التي تسبغ من الأماكن التي استشهدوا فيها
والأماكن التي وقفوا فيها ، لتدل دلالة واضحة على أنهم في رياض

(١) سورة الحديد : آية ١٢ .

الجنة محاضين بروح من سماته ومن رحمته .

لقد شم رسول الله ، ﷺ ، في مسراه رائحة طيبة .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها .

أما قصتهم فانت بروحها على نحو غير السابق في بعض تفاصيله وإن كان الجوهر واحداً .

لقد شم رسول الله ، ﷺ ، الرائحة الطيبة وسأل عنها جبريل فأخبره أنها رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها بينما كانت تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها

فقال : بسم الله تعس فرعون .

فقال ابنة فرعون : أو لك رب غير أبي ؟

قلت . نعم .

قلت فأخبر بذلك أبي ؟

قلت : نعم .

فأخبرته : فدعاها فقال : أو لك رب غيري ؟

قلت : نعم ربي وربك الله ، وكان للمرأة روج وثلاثة أولاد ،

أصغرهم رضيع ، فأرسل إليهم فرود المرأة وزوجها أن يرجعها عن دينها فأبيا .

فقال : إني قاتلكما .

قالت : حدثنا منك إيليا إن قتلنا أب نجعلنا في مكان واحد فتدوسنا جميعاً .

فقال : ذلك لك بما لك عبياً من الحق . .
فأمر بقرة من نحاس فأحميت بريث ثم أمرهم فألقوا فيها واحداً بعد واحد حتى بلغ الرصيع . وكانت أمه تحمسه وشفقها عليه تدكأت وكادت ترجع لموقعة فرعون

فقال : يا أمه فعي ولا تقاعسي فإلك عبي الحق .
فكان هذا الرصيع ممن تكلموا في المهد حرقاً لبعادة .
وإن لنا في تاريخ الإسلامى موقف مشهورة مشهودة ، وقف فيها الصحابة رضوان الله عليهم موقف من لا ينادى على أى حب كان في الله مصرعه .

في عروة بدر استشار رسول الله ﷺ ، الصحابة في الجهاد ، فقام المقداد بن عمرو ، رضي الله عنه ، وكان من المهاجرين فقال : « يا رسول الله امضى أراك الله ، فحضر معك ، والله لا يقول بك كما قال نوح لإسرائيل موسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إياهاها قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إيا معكما مقاتلون . هو ندى بعثك بالحق و سررت بنا إلى برك العباد » الحديث معك دونه حتى تلعه » .

(١) مكان مايمس

وقام سعد بن معاذ رضى الله عنه ، وكان من الأنصار فسأل رسول الله ﷺ عما إذا كان يعنى الأنصار باستشارته هذه فلما أجاب رسول الله ﷺ بالإيجاب قال :

«لقد آما بك وصدقك . وشهدنا أن ما حئت به هو الحق ، وأعطيك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت ففتحنا معك ، فوأندي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله»

الرموز الخاصة باللسان

يقول العرب : «مقتل الرجل بين فكيه» .

ومن المعروف أنه مما يكب الدس على وحوهم في جهنم إنما هي حصائد ألسنتهم . .

ولقد حذر الله سبحانه في كثير من آي القرآن من آثام اللسان ، وحذر رسوله ﷺ ، في كثير من الأحاديث النبوية من آثام اللسان يقول الله سبحانه وتعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَمِيَ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ . وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَمِيَ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَنَزَّوْا

أنفكم ، ولا تتأبزو بالألقاب ، بشئ الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن
م يتب فأوثق هم الظالمون (١).

ويصور القرآن مثل المعتاب في صورة بالغة الشاعة .

يقول تعالى :

(ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أوجب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتاً

فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله نواب رحيم) (٢).

فقد مثل الله سبحانه الاعتياب :

بأكل لحم الإنسان .

وجعل المأكول خطأ .

وجعل الأح ميتاً .

وعقب على ذلك بقوله : (فكرهتموه) .

ولقد دلت آثام اللسان في رحلة الإسراء قدراً موفوراً من التشبيه

والتمثيل .

١ لقد أتى رسول الله ﷺ ، على قوم نقرص ألسنتهم بمقاريض

من حديد ، كلما فرضت عادت كما كانت ، لا يعتر عنهم من ذلك

شيء . !

قال : ما هذا يا جبريل ؟

(١) سورة الحجرات . آية ١٠ .

(٢) سورة الحجرات : آية ١٢ .

قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، خطباء أمتك يقولون بما لا يفعلون .

٢ . وأنى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، يجعل الثور يريد أن

يرجع من حيث خرج فلا يستطيع !

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال . هذا مثل الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها

فلا يستطيع أن يردّها .

٣ . ورأى قوماً أطفارهم من نحاس يخمشون بها وجوههم

وصدورهم

فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟

قال . هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم .

٤ . ورأى قوماً تقطع لحومهم من جنوبهم ، وتنطعم هم كرهاً .

فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟

قال . هؤلاء مثل العماريين واللمارين .

٥ . وى إحدى رؤاه ﷺ ، رأى ملكاً وبين يديه آدمى ويبد الملك

كلّوب من حديد : فبصعه في شدة الأيمن فيشقّه حتى ينهى إلى أذنه ثم

يأخذ في الأيسر فيلتئم الأيمن .

فلما سأل جبريل عنه قال له .

أولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالعمية ، يهرقوا بينهم ، فهم

يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار .

آثام الجوارح

والجرمة الكبرى ، الجريمة الأساسية إما هي الإلحاد
يقول سبحانه :

(قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ؟

الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعاً . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه ، فحبطت أعمالهم ،
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً .

ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً)
وقد وضع الله سبحانه وتعالى للمدحذين تحذيراً في لقرآن الكريم بين
فيه العلة والأسباب وأوضح فيه النتائج وأسفر عن الصورة صارحة ،
واصحة ، لا يحجبها قناع

يقول سبحانه :

(واتل عليهم سآة الذي آتاه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان .
فكان من العاوين ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع
هواه ، فمثل كمثل كلب ، إن يحمل عليه يبهث أو تتركه يبهث ، ذلك
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) (١)

(١) سورة الكهف : الآيات ١٠٣ - ١٠٦

(٢) سورة الأعراف ، الآيات ١٧٥ - ١٧٦

وجرائم الجوارح ذكر الله سبحانه وتعالى منها كثيراً في قوله تعالى
 (قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئاً ،
 وبإيهاهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتبوا أنفسكم
 التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .
 ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا
 الكيل والميزان بالقسط ، لا يكلف نفساً إلا وسعها . وإذا قلتم فاعدلوا
 ولو كان ذا قرى وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
 وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
 سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (١).

ولقد ذكرت الرحلة مشاركة بعض الرموز التي تمثل آثام الجوارح ،
 ذكرت بعض ولم تذكر بكل . وذلك أنها ما كانت بصدد الإحصاء
 والاستقصاء .

١ من ذلك مثلاً أن رسول الله ﷺ ، أتى على قوم بين أيديهم
 لحم بصيغ في قدر ، ولحم بىء في قدر حيث فجعوا يأكلون من لىء
 ويدعون البصيع

فقال . ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال هذا ارجل من أمتك تكون عنده المرأة احلال لطيب هيأتى

(١) سورة الأنعام : الآيات ١٥١ - ١٥٣

امراة خبيثة فيبيت عنده حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند روحها
حلالاً طيباً فتألفى رجلاً خبيثاً فتيبت عنده حتى تصبح .
والله سبحانه وتعالى يقول :

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم
بهما رأية في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما
صائفة من المؤمنين) ^(١)

٢ - ثم أتى على رجل قد جمع حرمة حطب عظيمة لا يستطيع
حملها ، وهو يريد عيها .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟
قال - هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس ، لا يقدر
على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها .
ورسول الله ﷺ ، يقول
ولا يمان لمن لا أمانة له .

٣ - وفي حديث أبي سعيد أنه رأى أحنوة عليها لحم طيب ليس
عليها أحد ، وأخرى عليها لحم بن عليها دس تكون .
قال جبريل هؤلاء الدين يتركون لحلال ويأكلون الحرام
٤ - وأنه من يقوم مشعرهم كالإبل يلتقمون حجراً فيخرج من
أسفلهم .

(١) سورة النور : آية ٢

وأن جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً
أما حزاء أصحاب الآثام إذا لم يتوبوا ، فهو دخولهم في جهنم حيث
العذاب ألواناً .

وعن جهنم نقول إن رسول الله ﷺ أتى على واد فسمع صوتاً
مسكرأً ووحيداً ريحاً مستنة .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت جهنم نقول :

رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأعلالي ، وسعيري
وحميمي ، وضريعي وغسائي ، وعذابي ، وقد بعد قمرى ، واشتد
حرى ، فآتني بما وعدتني .

قال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل حمار لا يؤمن
بيوم الحساب .

قالت : قد رصيت

الوصول إلى بيت المقدس

ووصل رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس .

وفي رواية أنس عند مسلم :

ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فحاضى جبريل
عليه السلام بإبائه من حمر ، وإيائه من لبن فاحترت اللبن

فقال جبريل - اخترت افطرة ، أي اخترت البن الذي عليه بنيت
الخلقة (١).

وقال النووي : المراد بالفطرة هنا الإسلام والاستقامة .
والخمر في التعبير الإسلامي هي أم الخائث ، وأحير الله سبحانه
وتعالى أنها رحس من عمل الشيطان ، وقد لعن الله شاربيها وبائعها
وحاملها والمحمولة إليه ولعن عاصرها والمتجر فيها على أي وضع كان .
والبيرة من أنواع الخمور : وكل ما أسكر كثيره فقليله حرام .
وفي رواية ابن مسعود نحوه : أي نحو رواية أنس الساقية - ثم
دخلت مسجد فعمرت البيتين ما بين قائم وراكع وسجد . ثم أدن مؤذن
وأقيمت الصلاة فقمنا صفواً نطهر من يؤم ، فأخذ بيدي جبريل
فقدمني فصليت بهم .

وفي رواية أبي أمامة عند الطبراني ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى
قدموا محمداً ﷺ

عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى

ثم عرج ﷺ إلى لسمرات العلا فتجاورها سماء سماء حتى تجاوز
الكون كله وكان عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى : الجنة التي يأوي
إليها المتقون من عباد الله ، وشم رسول الله ﷺ ، ريحاً طيبة باردة كريح

(١) انظر كتاب الأنوار المحمدية ليوسف النباهي

المسك وسمع صوتاً .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت الجنة تقول : رب آتني ما وعدتني به فقد كثرت
عروى راستيرقى ، وحريري ، وسدسي ، وعفري ولؤلؤي ومرحاني .
وفصتي ، وزهبي ، وأكواني . وصحافي ، وأباريقي ، ومراكبي .
وعسلي ، وماني ، ولبيبي ، وخمري ، فآتني ما وعدتني !

قال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي
وبرسلي . وعمل صالحاً . ولم يشرك بي شيئاً . ولم يتحد من دون
أبداداً ، ومن حشيتني فهو آمن ، ومن سألني فقد أعطيته ، ومن أقرصني
حازيته ومن توكل على كهيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف ابعد
قد أفلح المؤمنون ونبارك الله أحسن الخالقين .
قالت : قد رضيت .

إذ يغشى السدرة ما يغشى

في إبهام : « ما يغشى » من التضميم مالا يحصى :
فكان العاشي أمراً يحيط به نطاق البيان ، ولا تسعه أركان الالهام
وصيغة المصارع الحكيمه الحال الدصية استحصراً لصورتها الدبيعة .
وحور أن يكون للإيدان باستمرار العشيان بطريق التجدد

وورد في بعض الأخبار تعيين هذا العاشي من الحسن .
 غشيها نور رب العزة جل شأنه فاستنارت .
 ونحوه ما روى عن أبي هريرة :
 ينشأها نور الخلاق سبحانه (عن الأوسى)

المشاهدة

يقول الله تعالى :
 (ثم لما قتل فكان قاب قوسين أو أدنى) .
 ويقول الحديث الشريف . ودما الحمار رب العزة فتدلى فكان منه
 قاب قوسين أو أدنى .
 ويقول الإمام ابن حجر :
 وقد أخرج الأوسى في معانيه ومن طريق البيهقي عن محمد بن
 عمرو ، وعن أبي سلمة عن ابن عباس في قوله تعالى :
 (ولقد رآه نزلة أخرى) .
 قال : دنا منه ربه .
 يقول الإمام ابن حجر وهذا سد حسن وهو شاهد قوي لرواية
 شريك ، ويكون المعنى على غرار « يزب ريبا » .
 بعد ذلك نسأل :
 هل رأى محمد ﷺ ربه ؟

هل شاهد الجلال والجلال ؟

نقول أولاً : إن الإمام الصاوي ذكر بمناسبة تفسير قوله تعالى .
(وما منا إلا له مقام معلوم ، وإنا لحسن اصنافون ، وإنا لحسن
المسبحون) .

إن هذه الآيات حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية رداً على
عبدتهم ، والمعنى : ليس منا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة ،
والعبادة ، وامثال ما يأمرنا الله تعالى به .

قال ابن عباس : ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي
ويسبح . ثم يقول :

فيل إن هذه الآيات الثلاث نزلت ورسول الله ﷺ ، عند سدره
لمنتهى ، فتأخر جبريل فقال النبي ﷺ :
أهنا تفارقني ؟

فقال جبريل : ما أستطيع أن أتقدم من مكاني هذا .
وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة :
(وما منا إلا له مقام معلوم)

ووقف جبريل واقترب محمد ﷺ .

ويذكر الإمام الصاوي في قوله تعالى

(ما كذب الفؤاد ما رأى) أن محمد ﷺ ، رأى ربه مرتين . مرة
في مبادئ البعثة ، ومرة في ليلة الإسراء ، « واختلف في تلك الرؤية ،

فقل رآه بعينه (١) حقيقة ، وهو قول جمهور اصحابه ، واتابعين ،
مهم ابن عباس ، ونس بن مالك والحسن وغيرهم ، وعليه قول العارف
«برعى :

وإن قابلت لعضة بـ « لن ترائى »

بـ « ما كذب المؤاد » فهمت معنى

فوسى حر معشياً عليه

وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنه

وقيل لم يره بعينه ، وهو قول عائشة رضى الله عنها .

والصحيح لأول ، لأن المثلث مقدم على الثانى ، أولاً عائشة لم

يلقها حديث الرؤية لكونها كانت حديثه الس .

لقد ذهب غير واحد فى قوله تعالى :

(ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده

ما أوحى)

فى أنه فى أمر العروج إلى الخناب الأقدس ودنوه مسجده مه صلى الله عليه وسلم ،

ورؤيته عليه اسلام ، إياه جل وعلا ، والصائر فى (دنا وتدلى)

(١) سبأى فما بعد (رآه عن الوجه اللائق) وهذا يعنى أن الرؤية ثابتة أم الكيفية فيها غير

معروفة ومن المؤكد أنه صدوات الله وسلامه عليه كان يشعر شعوراً وصحاً يقيناً أنه فى حضرة الله

تعالى انحط ، الذى ليس كمثله شيء : النظيف . النور

ولعل حد الشعور هو المقصود بالمشاهدة وعلى ذلك فلا معنى لتناقض فى هذا التوضيح وعن

هذا ربما روي ما قيل والله التوفيق

و (كان) و (أوحى) وكذا الضمير المصوب و (رآه) لله عز وجل
ويشهد لهذا ما في حديث أس عن البخاري من طريق شريك بن
عبد الله :

ثم علا به فوق ذلك ما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدره المنتهى ،
ودنا الجبار رب العرش العظيم ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأولى
إليه فيما أوحى خمس صلوات (الحديث) بآيه ظاهر فيما ذكر .
واستدل بذلك مثبتو الرؤية كحبر الأمة اس عمار رضي الله عنهما
وعيره .

واظهر أن اس عمار لم يقل برؤية إلا عن سماعها ، وقد حرج
عند أحمد أنه قاب :

قال رسول الله ﷺ :
« رأيت ربي » (١) .

ذكره الشيخ محمد لصاحبه الشافعي لتعميد الحفظ للسيوطي في
الآيات البيهات وصححه

ثم إن القائلين بالرؤية حتموا . فهم من قاب بآيه عليه الصلاة
وسلام رأى ربه سبحانه بعينه ، وروى ذلك ابن مردويه عن اس
عمار ، وهو مروي أيضاً عن اس مسعود ، وثي هريرة ، وأحمد اس
حاصل .

(١) انظر في كل ذلك تفسير الإمام الأوزاعي

ومهم من هـ . رآه عر وحل بقلبه . وروى ذلك عن أنى در
يقول العلامة الصبي فيما يرويه الإمام الألوسى

« ولا يحق على كل دى لب بقاء مقام (فأوحى) الحمل على أن
حبريل أوحى إلى عبد لله (ما أوحى) . لا يذوق منه أرباب القلوب
إلا معنى المصاعاة بين المتساويين مما يصيق عنه بساط الوهم ولا يطيقه
سطاق الفهم ، وكسفة (ثم) على هذا للترحمى الرضى ، والفرق بين
الوحيين أن أحدهما وحى بواسطة وتعليم ، والآخر بغير واسطة بجهة
التكريم .

وعن جعفر الصادق عليه الرضا أنه قال : لما قرب الحبيب غاية
انقرب بآله غاية الهيبة فلاحظه الحق سبحانه بعناية للطف لأنه لا تتحمل
غاية الهيبة إلا بعناية اللطف ، وذلك قوله تعالى
(فأوحى إلى عبده ما أوحى) .

أى كان ما كان ، وحرى ما حرى . قال الحبيب للحبيب ما يقول
الحبيب لحبيه ، وتلطف به تنطق الحب بحسه ، وأمر إبه ما سر
الحب إلى حبيه فأحميا ولم يعلما على سرهما أحداً وإلى نحو هذا يشير
ابن لاهزم بقوله .

ولقد خلوت مع الحبيب وبيسا
سر أرق من السم إذ سرى

ومعظم الصوفية على هذا فيقولون بدو الله عز وجل من أبي
عليه السلام ، ودنوه سبحانه على الوجه اللائق .
وكذا يقولون بالرؤية كذلك .
وقال بعضهم في قوله تعالى :

(ما راغ البصر وما طعى) ما راغ بصر النبي صلى الله عليه وآله . وما انفتحت إلى
الجنة ومرحرفاتها . ولا إلى الحميم ورفراتها . بل كان شاحصاً إلى الحق
(وما طعى) عن الصراط المستقيم .

وقال أبو حمص السهروردي . ما راغ البصر حيث لم يتحلف عن
البصرة ولم يتقاصر (وما طعى) لم يسو البصره ويتعدى مقامه .
ومحس يقول كما يقول الإمام الألوسي في صراحة لا يس فيها :
« أنا أقول برؤيته صلى الله عليه وآله ربه سبحانه ، ودنوه منه سبحانه على الوجه
اللائق . ذهبت فيما اقتضاه ظهري الظن الحليل إلى ما قاله صاحب
الكشف . أم ذهبت فيه إلى ما قاله الطيبي فتأمل والله تعالى الموفق » .
إن كلمة « على نوحه اللائق » تفص كل نزاع ، والله أعلم .

خاتمة

في بغض آثار الإِشراء والمِغْراج

ومن ثمار اني حنتها الأمة الإسلامية ، والتي كانت من مقاصد
إذاعة النبأ

افصال صغاف لنفوس ، والشاكين والمرددین ، انفصال كل
هؤلاء عن لأمة الإسلامية الناشئة

لقد كفر عند سماع النبأ - من كفر بعد إسلامه وارتد من ارتد بعد
إيمانه ، وما كان هؤلاء ، لو بقوا ، إلا عاملا من عوامل الصعف أكثر
من أن يكونوا عاملا من عوامل القوة . إن هؤلاء المكيين الذين آمنوا
وصبروا على الحوادث لقاسية ، على التعذيب وعلى الآلام ، وعلى المشقة
في جميع مظاهرها ، إن هؤلاء المكيين الذين صبروا ، وصابروا
وتخلصت أنفسهم من جميع الرعات المادية ، ومن جميع الأهواء .
فأصبحت حائصة لله وحده ، إن هؤلاء المكيين الذين كان في تقدير الله
سبحانه وتعالى أن تقوم عليهم دولة في شأنها . والذين من أجل
ذلك يحب أن يكونوا مهينين لأن يصمدوا لكل ما يمكن أن يعرضهم
من عقبات ، نقول : إن هؤلاء المكيين يجب أن يصفوا تصفية تامة
كاملة . ومن وسائل هذه التصفية : إذاعة نبأ الإسراء والمعراج 1

ليتكس من يتكس ، وليبق من يبق عن بصيرة وبيبة ، وعن إيمان
لا يترعرع مهما كانت الحوادث ، إيمان يصدق الرسول صدوات الله

وسلامه عليه ، في كل ما يأتي به ، بصدقه بمجرد إنائه
ولمثل لأعلى في ذلك - إنما هو سياناً بذكر حبها يعلن في غير تردد
ولا فنور

« نَسْ كَان قَالَ فَقَدْ صَدَقَ ، فَمَا يَعْصِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ ؟ » هُوَ اللَّهُ بِهِ
لِخَيْرِي أَنْ اخْتَرَ لِنَائِهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ
فَأُصْدَقَهُ ، فَهَذَا أَعَدَّ بِمَا تَعْجَبُونَ مِنْهُ .

هذا الإيمان المطلق بأرسول هو الذي جعله صلوات الله عليه
وسلامه ، يطلق على أنى ذكر رسول الله عليه « الصديق »

و « الصديق » مرتبة من مراتب الإيمان ، لا ينالها إلا من حاهد
نفسه جهداً نَحْطَى بِهِ إِيمَانُ الْعَامَّةِ ، وَسَمَّا فِي إِيمَانِهِ دَرَجَةٌ ، إِلَى أَنْ أَصْبَحَ
قَائِماً بِاللَّهِ مَتَحِياً إِلَيْهِ ، عَامِلاً عَلَى مَرْضَاتِهِ فِي جَمِيعِ مَا يَأْتِي وَمَا يَدْعُ .
وَالْأَمَّةُ لِلْإِسْلَامِيَّةِ تَأْكُمْنَهَا ، مَطْلُوبٌ مِنْهَا ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَخْبَارِ رَسُولِ
اللَّهِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، أَنْ تَكُونَ عَلَى عَرَارِ الصَّدِيقِ ، رَسُولِ اللَّهِ
عَلَيْهِ ، تَلْقَى بِقِيَادِهِ إِلَى إِخْبَارِهِ وَتُسَمِّى نَفْسَهَا إِلَى إِنَائِهِ مَصْدَقَةً تَصْدِيقاً
كَامِلاً - تَصْدِيقاً يَحْمِلُهَا عَلَى الْعَمَلِ بِمَا حَاجَ بِهِ ، وَعَلَى اتِّبَاعِ كُلِّ مَا جَاءَ
بِهِ ، وَعَلَى الْإِسْهَاءِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى عَمَلِهِ ، تَصْدِيقاً يُجَاهِياً يَحْقُقُ لِلْأَمَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَجْدَ الَّذِي تَرْجُوهُ ، تَصْدِيقاً يَنْبَغِي عَنْ وَجُودِهَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
اخْتَرُوا مَعَ الْمُخْتَرِينَ وَاسْتَجَبُوا سَدَاءَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فَاحْذَرُوا يَشْكُكُونَ
النَّاسَ فِي أَقْوَالِ أَرْسُولِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ ، فِي

حادثته وفي سببه ، زاعمين أنهم من المجددين وما هم في الواقع إلا
أبواق من أبواق المستشرقين والمبشرين .

إن هذه الأقلام التي تشكك في أسسة وفي الأحاديث السوية ليست
إلا أقلاماً مقلدة لا تحمل طبع الأصالة . ولا طابع لتجديد . وإنما
تحمّل طابع التقليد ، وطابع الشك والتردد الذي يتناقض مع الإيمان ،
ويتناقض مع الصديقية

ما ثمرة الإسرء والمعرء ، وأما هدية الإسرء والمعرء . . .
وأما أعظم المنح الإلهية في إسرء والمعرء ، أعظمها على
الإطلاق !

ما العمة العظمى والتجلى الإلهي الأكبر في الإسرء والمعرء فيه
الصلاة

ولا يتأني لنا - عحراً وقصوراً أن نتحدث عن الحمد ، وعن
الشكر ، عى هذه العمة التي أعظم الله بها على الأمة الإسلامية في هذه
لليلة المباركة

فانصلاة هي لصلة به سبحانه ، وهي الكيفية ، وهي لطريقة .
وهي الوسيلة ، وهي المحطات الجيلة التي ثم فيها الصلة وتتحقق
بها فترة مسحة ، فترة انقطاع كامل ، ويجب أن يكون كاملاً ، عن
عالم المادة ، وعن عالم شهوات ، وعالم الفتنة . تتخلص النفس إلى
لمع حتى تنعم في رحابه سعادة الصلة به والقرب منه !

ومن أقام الصلاة فقد أقام لدين ، ومن هدمها فقد هدم لدين ،
 إن إقامة الصلاة أو إقامة الدين إى هى إقامة لصلة بالله ، وتحقيق ذلك
 هو مثل لأعلى ، والغاية العظمى ، والسعادة الكامنة التى بحرى وراءها
 لمؤمنون لتحقيقوا بها معراجهم نحو الله تعالى . وما من شك فى أن الصلاة
 يقيمها الإنسان كما أراد الله ورسوله ، من أخرج لوسائل فى القرب إلى
 الله ، إنها البراق الذى يختار به المؤمن ، فى سرعة سريعة ، طبقت العبد
 عن الله سبحانه ، ليتقرب إليه تعالى فيعم فى رحابه .

هذه وغيرها من عبر الإسراء والمعراج ، ومن توجيهات الله فيها :
 هى التى يجب أن ننتبه إليها وأن تأخذ فى تأملها والاستخدام معها .
 إن الله سبحانه وتعالى أخذ يتحدث فى سورة النجم عن آفاق
 عبا ، وعن أجواء إلهية جديدة ، وعن مشرف من السموات تترد عبا
 لأمانى حسرى داهلة ، لقد أخذ سبحانه يتحدث عن سدر
 المستهى ، وعن جنة المأوى ، وعن آياته سبحانه الكبرى . لقد أخذ
 سبحانه ، يتحدث عن :

رتب تسقط الأمانى حسرى دونها ما وراء من وراء
 ثم . . . ثم هوى بنا سبحانه ، فى عنف عنيف ، هوى بنا فى سرعة
 سريعة دون مابق إندار ، ليفتح أعيننا على مهارل ومهادٍ من الشرك
 يفضل فيها هؤلاء الذين هم كالأنعام أو أضل سبيلا ، فقال سبحانه ،
 بعد أن ذكر هذه التجليات الإلهية :

(أفرايتم اللات والعزى ؟

ومناة الثالثة الأخرى)

لقد أرانا سبحانه ، بهذه الكلمات : البشرية المسكية في ضلالها
الديني ، وانحرافها الذهني .

إن كل من يترك هذه الآفاق العليا وينجاوزها ليتحدث عن أن
الرسول ﷺ ، أسرى به بجسمه وروحه ، أو بروحه فقط ، أو أسرى به
بقظة أو مناما . إنما هو بذلك ينحدر بنفسه مختاراً ، من التجلي الإلهي ،
ليهوئها بها متكساً إلى جو اللات والعزى ، وينحدر بها متكساً من جو
سدرة المنتهى إلى الجو المادي ، ومن مجالات النور السماوي المتلألئ
إلى ظلمة الجدل ، وزيف الممارسة في الدين .

فلتنصرف عنه ، ولنتركه وما اختار ، مبتعدين عن الجدل مع
الممارين ، ولندع الله قائلين :

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . وهب لنا من لدنك رحمة ،
إنك أنت الوهاب) .

فهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
١١	الفصل الأول : بين يدى الإسراء والمعراج
٣٣	الفصل الثانى الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة .
٦٧	الفصل الثالث : منهج الحياة الذى رسمته أنباء الإسراء والمعراج .
١٢٧	خاتمة

٢٠٠٤/١٦٥٠١	رقم الإيداع
ISBN 977-02-6711-2	التقليم الدولي

١/٢٠٠٤/٤٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)



يُعَدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامي والتصوف في العصر الحديث ، ولقب بأبي التصوف في العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة العربية بأهمّات الكتب بين تحقيق وتأليف وترجمة ، فمنها دراساته القيمة عن الإمام الغزالي وكتابه « المنقذ من الضلال » ، و « دلائل النبوة » ، و « القرآن في شهر القرآن » ، إلى جانب ما كتبه عن رواد التصوف على مر العصور الإسلامية المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود له عمق وغزارة الآراء الفقهية ودقة الاجتهادات مما جعله يكسب صفوف المعارضين قبل المؤيدين ، إلى جانب اللباقة والدراية الكاملة في عرض أي موضوع أو مسألة تتعلق بأمور الدين ، وأيضا يمتاز بقوة ورصانة الأسلوب والعبارات ، مما يدل على المهارة الفائقة والملكة اللغوية فلهذا اكتسب هذا العالم الجليل احترام كل الفرق والمذاهب الإسلامية في شتى بقاع العالم ، وسيبقى هذا العالم وتراثه في قلوبنا على مر العصور .

تسليم الغزل : محمد أبو طالب

...٩٥٩/٠١

